موقف الفكر الاعتزالي
من الشفاعة لأهل الكبائر

إعداد الدكتور
محمد رشدي إبراهيم
الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والفلسفة
كلية البنات الإسلامية بأسيوط
جامعة الأزهر

موقف الفكر الاعتزالي من الشفاعة لأهل الكبائر

محمد رشدي إبراهيم

قسم العقيدة والفلسفة ، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر ، مصر.

البريد الإلكتروني: m.roshdy77@azhar.edu.eg

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان رأي فرقة المعتزلة في مسألة الشفاعة لأهل الكبائر ممن ماتوا على التوحيد، حيث إنهم يقفون منها موقف الإنكار والرفض؛ لاعتقادهم أنها متعلقة بأصل من أصولهم الخمسة؛ وهو الوعد والوعيد، ومن منطلق زعمهم أن مرتكبي الكبائر من المسلمين سيخلدون في النار، وادعائهم أن الشفاعة تكون فقط لمن تاب ورجع وليست للعصاة والفساق، وأنها تكون برفع الدرجات في الجنة؛ مستدلين على رأيهم بأدلة وشبهات؛ لكن هناك ردوداً عديدة على بطلان تلك الأدلة والشبهات؛ ولا سيما وأن هذه المسألة هي مسألة عقدية مهمة تتعلق بمصير ومآل العباد في اليوم الآخر، وتواترت على ثبوتها وحقيقتها الأدلة الكثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والعقل.

الكلمات المفتاحية للبحث: الكبائر ،المعتزلة ، أهل السنة ، شبهات ،الوعد والوعيد.

The Attitude of Mu'tazilites towards interceding for those who commit Major Sins

By: Mohamed Rushdy Ibrahim
Department of Creed and Philosophy
Islamic Women's College in Assiut
Azhar University, Egypt.

Email: m.roshdy77@azhar.edu.eg

abstract:

This research paper highlights the views of the Mu'tazilites concerning the issue of intercession for those who committed major sins and died as monotheists. The Mu'tazilites adopt the attitude of denial and rejection because for them, intercession is related to one of the five fundamentals of their group- that of promise and threat. In addition, the Mu'tazilites claim that Muslims who commit major sins will remain in hell forever. They also claim that intercession is only for those who repent and return, not for the disobedient or the immoral, and that intercession will raise the ranks of Muslims in Paradise. The Mu'tazilites supported their views with both evidence and suspicions. However, there are many responses to the invalidity of such evidence and suspicions, especially because this issue is an important doctrinal one which is related to the fate and destiny of the worshippers on the Day of Judgment. Moreover, there is abundant evidence of its truthfulness and authenticity from the Holy Qur'an, the Prophetic Sunnah, consensus, and reason.

Key words: major sins, Mu'tazilites, people of the Sunnah, suspicions, promise, threat.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا محمـد ﷺ وعلـى آلـه وصحبه أجمعين،

أما بعد...

فـإن مسـألة الشـفاعة تُعـد مـن أهـم وأبـرز المسـائل العقديـة والحقـائق الإيمانيـة الغيبيـة، ومـن أحـوال الآخـرة التـي يجـب الإيمـان والتسـليم بهـا؛ لثبوتهـا بنصـوص القـرآن الكـريم والسُـنة النبويـة والإجمـاع؛ ولأنهـا متعلقـة بالإيمـان بـالله تعـالى؛ حيـث إنهـا تفضـل مـن الله ﷻ على عبـاده الموحـدين، كمـا أنهـا تتعلـق بالوعـد والوعيـد الـذي هـو أصـل مـن أصـول المعتزلـة الخمسـة؛ لكنهـا دارت حولهـا خلافـات بـين بعـض الفـرق الإسـلامية، وتباينـت آراؤهـم تجاهها؛ ولا سـيما شـفاعة الرسـول ﷺ لأهـل الكبـائر والعصـاة مـن المسـلمين ممـن مـاتوا على التوحيـد ولـم يتوبـوا؛ تلـك الشـفاعة التـي تُعـد مـن الخصـائص التـي اختـص اللهُ تعـالى بهـا رسـولَهُ الكـريم سـيدنا محمـداً ﷺ؛ فأثبتهـا أهـل السـنة والجماعـة ومـن تـبعهم مـن أهـل الحـق، حيـث أجمعـوا علـى أن مـن أنـواع الشـفاعات الثابتـة للنبـي ﷺ شـفاعته لأهـل الكبـائر مـن أمتـه، واسـتدلوا علـى رأيهـم هـذا بأدلـة مـن الكتـاب والسُـنة والإجمـاع والعقـل، ونفاهـا المعتزلـة ومـن دار في فلكهـم، وأولـوا الآيـات الدالـة عليهـا بتـأويلات بعيـدة عـن معناهـا الصـحيح، وأنكـروا الأحاديـث النبويـة الصـحيحة الـواردة فيهـا؛ وادعـوا أن الشـفاعة لا تُقبـل في أهـل الكبـائر والعصـاة مـن أهـل التوحيـد؛ لأن رأي المعتزلـة في مرتكـب الكبيـرة أنـه في منزلـة بـين المنـزلتين - بـين الإيمـان والكفـر - في الحيـاة الـدنيا، ومخلـد في النـار في الحيـاة

الآخرة، ونحا نحوهم في هذه الآونة الأخيرة البعض ممن أثاروا الشبهات حول الشفاعة والتشكيك فيها، ومن ثم كان لابد من الوقوف على العقيدة الصحيحة في هذه المسألة، وبيان مذاهب المنكرين لها كالمعتزلة ومناقشتهم والرد عليهم وإبطال الشبهات المثارة حول هذه المسألة.

وهذا ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع، ولقد سميته: **موقف الفكر الاعتزالي من الشفاعة لأهل الكبائر.**

وقسمته إلى:

مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: في بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومحتوياته.

المبحث الأول: في التعريف بالمعتزلة.

المبحث الثاني: تعريف الشفاعة، وأقسامها:

المطلب الأول: تعريف الشفاعة.

المطلب الثاني: أقسام الشفاعة.

المبحث الثالث: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر، وأدلتهم وشبهاتهم على ذلك:

المطلب الأول: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر.

المطلب الثاني: أدلة المعتزلة وشبهاتهم على رأيهم في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر والرد عليها.

المبحث الرابع: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والدليل عليها.

الخاتمة: في أهم نتائج البحث.

المبحث الأول

التعريف بالمعتزلة

أولاً: تعريف المعتزلة لغة:

المعتزلة مأخوذة لغة من الاعتزال؛ الذي يعني: المفارقة، والابتعاد، والانفراد، والانقطاع، والانفصال، والتنحي جانبًا، جاء في لسان العرب ما يأتي: عزل: مأخوذ من عزل الشيء يعزله عزلاً وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل: نحاه جانبًا فتنحى، وقوله تعالى: (وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ)[١]،أراد إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا عَليّ ولا معي...والعزلة: الانعزال نفسه...واعتزلت القوم: أي فارقتهم وتنحيت عنهم[٢].

ثانياً: تعريف المعتزلة اصطلاحاً:

المعتزلة في الاصطلاح: اسم يُطلق على فرقة إسلامية كلامية نشأت في البصرة، في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في أواخر العصر الأُموي[٣] وازدهرت في العصر العباسي[٤]، وانتشرت حركتهم انتشاراً سريعًا؛ حتى إن قسمًا كبيراً من نخبة المفكرين المسلمين قد انضووا

---

(١) سورة الدخان – الآية ٢١.

(٢) لسان العرب – للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري – المجلد الحادي عشر – صـ٤٤٠ – مادة (عزل) – ط دار صادر – بيروت.

(٣) يُعد بدء الدولة الأموية من تنازل الحسن بن علي ﷺ، لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ، في (مسكن) يوم ٢٥ ربيع الأول عام ٤١ هـ، واستمرت حتى معركة الزاب التي جرت بين العباسيين وأُمويين، حيث هُزم مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في ١١ جمادى الأولى عام ١٣٢ هـ. التاريخ الإسلامي – محمود شاكر – جـ٤ – العهد الأُموي – صـ٥٣ – ط المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة السابعة – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

(٤) يُعد بدء الدولة العباسية من عام ١٣٢ هـ وحتى عام ٦٥٦ هـ؛ حيث وصل إلى ما يقرب من خمسة قرون وربع القرن. التاريخ الإسلامي – محمود شاكر – جـ٥ – الدولة العباسية (الجزء الأول) – صـ٧.

تحت لوائهم، وكانت بغداد عاصمة الدولة العباسية مقراً لمدرستهم، طيلة عهود عديدة[١].

والمعتزلة تُعد من أقدم وأبرز المدارس الفكرية والعقلية والكلامية المعروفة والمشهورة في الفكر الإسلامي، وتحتل مكانة كبيرة بين تلك المدارس.

ثالثاً: سبب تسميتهم بالمعتزلة[٢]:

اختلفت الآراء وتباينت حول تسميتهم بالمعتزلة إلى آراء عديدة؛ منها ما يأتي:

الرأي الأول: يذكر الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ - ١١٥٣م) أنه: دخل رجل على الحسن البصري (ت ١١٠هـ - ٧٢٨م) فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يُكفّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كُفر يخرج به عن الملة...وجماعة يُرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان؛ بل العمل عندهم ليس ركنًا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة...فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟

فتفكّر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ - ٧٤٨م) وكان من تلاميذ الحسن: أنا لا أقول إنّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا، ولا كافر مطلقًا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية - أ . جى . بريل - تحرير م . ت . هوتسما وآخرين - جـ٣٠- صـ٩٣٨٤- مركز الشارقة للإبداع الفكري - الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م، وتاريخ الفلسفة الإسلامية - هنري كوربان - ترجمة: نصير مروة، وحسن قبيسي - صـ١٧٠ - عويدات للنشر والطباع - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٩٨م.

(٢) للمعتزلة ألقاب كثيرة غير لقب المعتزلة؛ منها ما أطلقوه على أنفسهم؛ مثل: أهل التوحيد، والموحدة، والعدلية، وأهل العدل، والوعدية والوعيدية، والمنازلية: أهل الحق في الإسلام، والقدرية، والمنزهة، وأهل التنزيه، ومنها ما أطلقه الغير عليهم؛ مثل: النفاة، والمعطلة، والجهمية، ومخانيث الخوارج، والمبتدعة. يراجع: المنية والأمل - للقاضي عبدالجبار الهمذاني - جمعه أحمد بن يحيي المرتضى - بتحقيق د. عصام الدين محمد علي - هامش صـ٤ - دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر - الإسكندرية - ١٩٨٥م.

ثمّ قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنّا واصل؛ فسُمّي هو وأصحابه معتزلة...وتابعه عمرو بن عبيد(ت١٤٤هـ - ٧٦١م) [١].

وهنا يقرر واصل بن عطاء أن مرتكب الكبيرة لا يستحق اسم الإيمان كما لا يستحق اسم الكفر؛ وإنما هو في منزلة بينهما؛ فهو فاسق.

الرأي الثاني: يُعلل بعض مؤرخي الفرق كالبغدادي (ت ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧م) والإسفراييني (ت ٤٧١هـ - ١٠٧٨م) بأن سبب التسمية هو أن الحسن البصري طرد كلاً من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من مجلسه لما أحدثاه من البدعة في القدر، والمنزلة بين المنزلتين؛ فاعتزلوه باتباعهم جانبًا من المسجد فسموا معتزلة لاعتزالهم مجالس المسلمين[٢].

الرأي الثالث: يتحدث أبو الحسين الملطي (ت ٣٧٧ هـ - ٩٨٧م) عن سبب آخر لتسميتهم بالمعتزلة قائلاً: وهم سمّوا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسنُ بن عليّ -رضي الله عنهما- معاوية - رضي الله عنهما - وسلّم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب

---

(١) الملل والنحل - للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - تحقيق الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل - جـ١ - صـ٤٧، ٤٨ - ط دار الاتحاد العربي للطباعة – الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م، وأهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية - د. ألبير نصري نادر - صـ٤٩ - المطبعة الكاثوليكية - بيروت - لبنان.

(٢) الفرق بين الفرق - للإمام عبدالقاهر بن طاهر البغدادي - بتحقيق مجدي فتحي السيد - صـ٧٧ - دار التوفيقية للتراث - القاهرة، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين - للإمام أبي المظفر الإسفراييني - تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري - صـ٢٠ - الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، والأنساب - للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني - بتعليق الشيخ عبد الرحمن اليماني - المجلد الثاني عشر - صـ٣٣٩ - الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

عليَ -رضي الله عنه-، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة فسُمّوا بذلك معتزلة[١].

الرأي الرابع: يذكر المقريزي (ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤٢م) أن تسميتهم بالمعتزلة كانت بعد الحسن البصري، وذلك أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن البصري وجلس قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ - ٧٣٦م) مجلسه اعتزله في نفر معه...فسموا المعتزلة[٢].

الرأي الخامس: يروي صاحب كتاب أمالي المرتضى حكاية قريبة مما ذكره المقريزي؛ حيث يقول: "إن قتادة بعد موت الحسن البصري كان جلس مجلسه، وكان هو وعمرو بن عبيد جميعًا رئيسين متقدمين في أصحاب الحسن؛ فجرت بينهما نفرة؛ فاعتزل عمرو مجلس قتادة، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن؛ فكان قتادة إذا جلس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه؛ فيقول: ما فعلت المعتزلة؟ فسموا بذلك"[٣].

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع - لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي - عُني بتصحيحه س . ديد رينغ - صـ٢٨،٢٩- ط المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت - ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- المعروف بالخطط المقريزية - لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي - وضع حواشيه خليل المنصور - جـ٤ - صـ١٧٠ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م.

(٣) أمالي المرتضى - غرر الفوائد ودرر القلائد - للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي - بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم - القسم الأول - صـ١٦٧ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٣٧٣ هـ-١٩٥٤م، والفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب في سائر العلوم - لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم - جـ٥ - صـ٥٥٧ - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن - ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.

الرأي السادس: ما ورد في كتاب فرق الشيعة[١] من أن المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان افترقوا فصاروا ثلاث فرق: فرقة أقامت على ولاية عليَ بن أبي طالب، وفرقة منهم اعتزلت مع سعد بن مالك؛ وهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد...فإن هؤلاء -رضي الله عنهم- جميعًا - اعتزلوا عن عليَ وامتنعوا من محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضاء به فسُموا المعتزلة وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد، وقالوا: لا يحل قتال علي ولا القتال معه[٢]، ولا شك أن صاحب هذا الرأي كأحد رجال الشيعة يتكلم من وجهة نظر الشيعة!

الرأي السابع: يرى المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر (ت ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١م) أن السبب في تسمية المعتزلة بهذا الاسم هو: أن أتباعها كانوا من الأتقياء الورعين الزهاد المنقطعين عن الدنيا[٣]؛ ولكن هذا الرأي قد لا يكون مقبولاً لكون الزُهاد والعُباد كانوا موجودين قبل نشأة هذه الفرقة.

الرأي الثامن: يقرر المستشرق البريطاني هاملتون ألكسندر جب (ت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م) أن حركة الاعتزال بدأت في الواقع في نهاية القرن الأول الهجري كانعكاس أو رد فعل خلقي للتطرف

---

(١) الشيعة: هم الذين شايعوا عليًا ﷺ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا، وإما خفيًا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. ينظر: الملل والنحل - جـ١ - صـ١٤٦.

(٢) فرق الشيعة - الحسن بن موسى النوبختي - صـ٢ - الناشر: دار الأضواء - بيروت - ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام - تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي - إجناتس جولد تسيهر - عربه: د. محمد يوسف موسى وآخرين - صـ١٠٠ - ط مطابع دار الكتاب العربي بمصر - الناشر: دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد - الطبعة الثانية.

المذهبي للخوارج[١] المتعصبين من ناحية؛ ثم للتراخي الخلقي لجماعة المرجئة[٢] من ناحية أخرى[٣].

الرأي التاسع: يحاول المستشرق البريطاني مونتجمري وات (ت ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م) أن يربط ربطًا غريبًا غير مقبول بين نشأة المعتزلة والأفكار اليونانية؛ حيث يقول: "يبدو أن مصطلح المعتزلة كان لقبًا أُطلق أولاً على مجموعة لا على أفراد؛ وقد حدث ذلك على الأرجح بعد اعتناق بعض المفكرين الكلاميين للأفكار اليونانية...كما يظهر أنه أُطلق على كل من استخدم الأفكار اليونانية والأساليب الجدلية اليونانية (أو العقلية)، مهما كان موقفه العقائدي العام، ويمكن أن نُرجح ذلك حوالي العام ٨٠٠م، ولقد كان ضرار بن عمرو (ت ١٩٠ هـ - ٨٠٥م) في وقت ما الداعية الرئيسي للأسلوب اليوناني الكلامي في البصرة"[٤]، وهذا الرأي غير مقبول؛ لأن مذهب الاعتزال نشأ قبل ذلك، وعلى الراجح في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة.

---

(١) الخوارج: إحدى الأحزاب السياسية والفرق الدينية، ويعرفها الشهرستاني قائلاً: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان. ينظر: الملل والنحل - جـ١ - صـ١١٤.

(٢) المرجئة: إحدى الفرق الإسلامية، والإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) "سورة الأعراف - ١١١"، أي أمهله وأخره. والثاني: إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. ينظر: الملل والنحل - جـ١ - صـ١٣٩.

(٣) نقلاً عن كتاب: أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري - د. عبدالحكيم بلبع - صـ١٠٩ - ط مكتبة نهضة مصر بالفجالة - القاهرة.

(٤) مقالة عن الجماعة والفرق - مونتجمري وات - ترجمة ناهد جعفر - صـ١٧، ١٨ - مجموعة مقالات الإسلام المبكر ١٩٩٠م.

وأرجح الآراء مما سبق وأقربها إلى الصواب الرأي الأول؛ إذ إنه شاع وذاع واشتهر بين المتقدمين والمتأخرين أن الحادثة التي حدثت بين الحسن البصري وتلميذه واصل بن عطاء حول حكم مرتكب الكبيرة الذي مات بدون توبة هي حادثة صحيحة، وكانت السبب الرئيس في تسمية المعتزلة بهذا الاسم، وظهور فرقة على الساحة الكلامية تُسمى بالمعتزلة، كما أن هذا الرأي هو ما ذهب إليه الكثير من مؤرخي الفرق.

يقول طاش كبرى زادة (ت ٩٦٨ هـ - ١٥٦١م): "وأول ما ظهر مذهب الاعتزال وشاع، إنما ظهر من واصل بن عطاء"(١).

ومهما يكن من سبب لتسمية هذه الفرقة بهذا الاسم فإن الواقع يقرر ظهور فرقة كلامية على الساحة الإسلامية تسمى بالمعتزلة؛ لها: رجالها، وأصولها، ومبادئها، وآراؤها، ومعتقداتها.

رابعاً: تاريخ المعتزلة:

إن ابتداء تاريخ المعتزلة كان بالبصرة وهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد.

ولقد مرت مدرسة المعتزلة بفترتين متميزتين: فترة في عهد الدولة العباسية...وأخرى في عهد الدولة البويهية(٢)...عاش رعيلها الأول تحت حكم الأُمويين قليلاً، ثم ملأ صدر الدولة العباسية نشاطًا وحركة، ونظراً وجدلاً ودفاعًا عن الدين...بدأ في البصرة، ثم امتد منه فرع إلى

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة - المجلد الثاني - صـ١٤٤ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

(٢) الدولة البويهية الفارسية في العراق أو الدولة الفارسية الخامسة في العراق (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م). ينظر: تاريخ الدولة الفارسية في العراق - علي ظريف الأعظمي - صـ٥٣ - ط مطبعة الفرات - بغداد - ١٣٤٦ هـ-١٩٢٧م.

بغداد...وقضى المعتزلة نحو قرن تقريبًا (٢٣٧ - ٣٣٤ هـ) في تراجع وتدهور...وأراد أبو عليّ الجُبائي (ت٣٠٣ هـ - ٩١٦م) وابنه أبو هاشم (ت ٣٢٠ هـ - ٩٣٣م) في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجريين أن ينهضا بالمعتزلة من جديد، ولكنّ خروج الأشعري (ت ٣٢٤ هـ - ٩٣٦م) عليهم لم يُمَكن من ذلك[١].

وابتدأت المعتزلة منذ نشأتها طائفة دينية لا دخل لها في السياسة...إلا أنها لم تلبث أن خاضت غمار السياسة[٢].

ولقد احتلت المعتزلة مكانة بارزة من بين الفرق الإسلامية والكلامية، وكان لهم دور رئيس وكبير وجهود مبذولة ومساهمات فكرية وعقلية تُحمد لهم في الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه من اليهود والنصارى والمجوس[٣] والصابئة[٤] وغيرهم من أرباب الديانات والملل والنحل المختلفة؛ ممن كان يكيد للإسلام والمسلمين، أو يدخل الإسلام عن غير اقتناع، أو رجاء نفع دنيوي، أو لأي غرض آخر؛ فيظهر الإسلام ويبطن الكفر؛ فناظروهم وقاوموهم بالبرهان والحجة والدليل؛ ولا

---

(١) يراجع: في الفلسفة الإسلامية - منهج وتطبيقه - د. إبراهيم مدكور - جـ٢ - صـ٣٦،٣٧ - ط دار المعارف - القاهرة.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - د. حسن إبراهيم حسن - جـ٢ - صـ١٠ - دار الجيل - بيروت - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الرابعة عشرة - ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م.

(٣) المجوس: طائفة كان بدء مذهبهم في شريعة موسى - عليه السلام - ..وهم يعبدون النار...ويسجدون للشمس إذا طلعت...وقالوا لم يرسل الله إلا رسولاً واحداً لا ندري من هو. يراجع: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - للشيخ أبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي - تحقيق د. بسام علي العموش - صـ٩٠،٩١ - ط مكتبة المنار الزرقاء - الأردن - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

(٤) الصابئة: اسمهم مأخوذ من صبأ إذا خرج من شيء إلى شيء، ومن دين إلى دين...يعتقدون أن الكواكب السبعة مدبرة كما يعتقد أصحاب النجوم. يراجع: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - صـ٩٢،٩٣.

سيما وأنهم تسلحوا باللغة والبلاغة والبيان وفصاحة اللسان وسعة العلم والمعرفة.

وهم - كما يقول الأستاذ أحمد أمين (ت ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م) عنهم -: أول من تسلح من المسلمين بسلاح خصومهم في الدين؛ ذلك أنه في أوائل القرن الثاني للهجرة ظهر أثر من دخل في الإسلام من اليهود والنصارى والدهرية[١]؛ فكثير من هؤلاء أسلموا ورؤوسهم مملوءة بأديانهم القديمة، لم يزد عليهم إلا النطق بالشهادتين؛ فسرعان ما أثاروا في الإسلام المسائل التي كانت تثار في أديانهم كمسائل: القدر، وصفات الله، وخلق القرآن، وكانت هذه الأديان...قد تسلحت من قبل بالفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني ونظمت طريق بحثها وتعمقت في ذلك كثيراً؛ فهاجموا الإسلام وهو الدين الذي يمتاز ببساطة عقيدته فأثاروا حوله الشكوك...كل هذا دعا المعتزلة أن يتسلحوا بسلاح عدوهم فجادلوهم جدالاً علمياً، وردوا هجمات القائلين بالجبر والمنكرين لله وما أثار اليهود والنصارى والمجوس من شكوك، ونشطوا لهذا العمل نشاطاً بديعاً[٢].

ولا غرابة في هذا إذ إن عمرو بن عبيد قال عن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة: "ليس أحد أعلم بكلام غالية الشيعة ومارقة الخوارج وكلام الزنادقة[٣] والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين

(١) الدهرية: طائفة تنفي الربوبية وتحيل الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى، ويقولون هذا مستحيل في العقول، ويجعلون الطينة قديمة، ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينكرون الخالق. يراجع: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - صـ٨٨.

(٢) فجر الإسلام - أ. أحمد أمين - صـ٢٩٩، ٣٠٠ - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

(٣) الزنادقة: الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد؛ أي طاعن في الأديان. يراجع: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي - جـ١ - صـ٢٥٦ - الناشر: المكتبة العلمية - بيروت - لبنان.

والرد عليهم منه"[١]، وكان واصل منشغلاً بالرد كذلك على المانوية[٢]؛ حيث ذكر عمرو الباهلي: أنه قرأ لواصل بن عطاء الجزء الأول من كتاب الألف مسألة في الرد على المانوية؛ قال: فأحصيت في ذلك الجزء على مخالفيه نيفًا وثمانين مسألة[٣]. كما أن زوجة واصل بن عطاء تحكي عنه قائلة: "كان واصل إذا جنّه الليل صف قدميه يصلي، ولوح ودواة موضوعات؛ فإذا مرت به آية فيها حُجة على مُخالف جلس فكتبها؛ ثم عاد في صلاته"[٤].

وكانت لأبي الهُذيل العلاف (ت ٢٣٥ هـ - ٨٥٠م) مناظرات كثيرة وممدودة مع المجوس والثنوية[٥]، وكان يقطع الخصم بأقل كلام، وأسلم على يده ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل[٦]، وحُكي أنه في حداثته بلغه أن رجلاً يهوديًا في البصرة كان قد ناظر بعض المتكلمين وانتصر عليهم؛ لكن أبا الهذيل ناظره وأفحمه وألزمه الحجة[٧]، كما ناظر الشاعر العباسي صالح بن عبدالقدوس (ت ١٦٠هـ - ٧٧٧م) - الذي اتهم بالزندقة - لما قال عن العالم: إنه من أصلين قديمين: نور، وظلمة؛ كانا

---

(١) المنية والأمل - صـ١٨.

(٢) المانوية: أتباع ماني أو مانيس بن فاتك الفارسي الذي ولد عام ٢١٥م، وقتله أحد ملوك الفرس عام ٢٧٥م، وكان ماني متنسكًا متصوفًا، متشائمًا لا يؤمن بانتصار الخير على الشر ألبتة، ولا أمل عنده في صلاح هذا الوجود، وتأثر ببعض الديانات؛ مثل: الزرادشتية، والميتهرية القديمة، والبراهمية، والمسيحية قبل وضع قواعد الكنيسة. ينظر: الفلسفة الشرقية - د. محمد غلاب - صـ٢٠١ - مطبعة البيت الأخضر - القاهرة - ١٩٣٨م.

(٣) طبقات المعتزلة - أحمد بن يحيي بن المرتضى - صـ٣٥ - بتحقيق مؤسسة سوسنة ديفشلد - فلزر - الطبعة الثانية -١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

(٤) المرجع السابق - صـ١٩.

(٥) الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليين. يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. ينظر: الملل والنحل - جـ٢- صـ٤٩.

(٦) طبقات المعتزلة - صـ٤٤.

(٧) يُنظر: أمالي المرتضى - القسم الأول - صـ١٧٨، ١٧٩.

متباينين فامتزجا؛ فناظره أبو الهذيل وأقام عليه الحجة وألزمه؛ فانقطع صالح وأنشأ يقول:

أبا الهذيل جزاك الله من رجل فأنت حقًا لعمري مِفصَلٌ جَدِلُ[١].

وهذا غيض من فيض مما كان عليه رجال المعتزلة من الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه وخصومه.

خامساً: أصول المعتزلة:

للمعتزلة أصول خمسة يرون أن من اعتقدها وآمن بها فهو من المعتزلة، يقول أبو الحسين الخياط (ت ١٩٠ هـ - ٨١٨م): "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد[٢]، والعدل[٣]، والوعد والوعيد[٤]، والمنزلة بين المنزلتين[٥]، والأمر

(١) المنية والأمل - صـ٢٧.

(٢) التوحيد: هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه والإقرار به، ولابد من اعتبار هذين الشرطين: العلم، والإقرار جميعًا؛ لأنه لو علم ولم يقر، أو أقر ولم يعلم، لم يكن موحداً. ينظر: شرح الأصول الخمسة - للقاضي عبد الجبار بن أحمد - بتعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم - بتحقيق د. عبدالكريم عثمان - صـ١٢٨ - الناشر مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م.

(٣) العدل: المراد به أن أفعال الله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه. ينظر: شرح الأصول الخمسة صـ١٣٢.

(٤) الوعد والوعيد: الوعد: هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسنًا مستحقًا، وبين أن لا يكون كذلك...والوعيد: هو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسنًا مستحقًا، وبين أن لا يكون كذلك. ينظر: شرح الأصول الخمسة صـ١٣٤،١٣٥.

(٥) المنزلة بين المنزلتين: بمعنى العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يُسمى فاسقًا، ولا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن،؛ بل في منزلة بن المنزلتين. ينظر: شرح الأصول الخمسة صـ٦٩٧.

بالمعروف والنهى عن المنكر[١]، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال فهو معتزلي"[٢]. ويؤيد هذا ما ذكره المسعودي (ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٧م) بعد عرضه لأصول المعتزلة الخمسة قائلاً: "فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة، ومن اعتقد ما ذكرنا من هذه الأصول كان معتزليًا؛ فإن اعتقد الأكثر أو الأقل لم يستحق اسم الاعتزال؛ فلا يستحقه إلا باعتقاده هذه الأصول الخمسة"[٣]، ويرى القاضي عبدالجبار (ت ٤١٥ هـ - ١٠٢٥م): "أن المُكلف إذا عرف هذه الأصول، يلزمه معرفة الفقه والشرع"[٤].

على أنه من الجدير بالذكر أن "هذه الأصول لم تنشأ دفعة واحدة؛ بل جاء القول بـ "المنزلة بين المنزلتين" في مطلعها، ثم تتالى ظهور الأصول الأخرى تبعًا للظروف وضرورات المنطق الداخلي للمذهب"[٥].

ولعله من المفيد القول بأنَّ أصول المعتزلة الخمسة لم تكن معروفة بما هي عليه الآن قبل أبي الهذيل العلاف في خلافة هارون الرشيد (ت ١٩٣ هـ - ٨٠٩م)؛ فقد جاء في شرح الطحاوية أنه

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الأمر: هو قول القائل لمن دونه افعل، والنهي: هو قول القائل لمن دونه لا تفعل، والمعروف: هو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه، والمنكر: هو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه. ينظر: شرح الأصول الخمسة صـ١٤١.

(٢) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد - أبوالحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط - تحقيق د.نيبرج - صـ١٢٦، ١٢٧ - ط مكتبة الدار العربية للكتاب - القاهرة ١٣٤٤ هـ-١٩٢٥م.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر - لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي - جـ٣ - صـ١٨٥ - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٥م.

(٤) شرح الأصول الخمسة - صـ١٢٦.

(٥) مقدمة كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة - أبوالقاسم البلخي وآخرين - تحقيق فؤاد سيد - صـ١٠، ١١ - المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٣٩-٢٠١٧م.

"لما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(١).

ولابد من التأكيد على أن هذه الأصول مدار مذهبهم عليها، وبها يشتهرون، والإطار الذي يجمعهم؛ مما جعلهم مستقلين بنمط فكري ومنهج عقلي خاص بهم، وأعطوا للعقل النصيب الأوفر من المساحة والحرية فأصبحت مدرسة فكرية كبيرة تزخر بالكثير من العلوم والمعارف المختلفة، وكان الفكر الاعتزالي في حقبة زمنية معينة مذهبًا رسميًا لدولة الخلافة العباسية منذ تبنى الخليفة المأمون (ت ٢١٨ هـ - ٨٣٣م) مبادئه وأصوله الخمسة.

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - للعلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - تحقيق أحمد محمد شاكر - صـ٤٦٨ - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - المملكة العربية السعودية.

المبحث الثاني

تعريف الشفاعة، وأقسامها

المطلب الأول: تعريف الشفاعة:

أولاً: تعريف الشفاعة لغة:

الشفاعة مأخوذة لغة من الشفع خلاف الوتر، وهو الزوج، تقول: كان وتراً فَشَفَعْتُه شَفْعًا أو شَفَعْتُه بآخر، وشَفَعَ الوَتْرَ من العَدَد شَفْعًا: صَيَّره زوجًا...والشفيع من الأعداد: ما كان زوجًا... وشَفَع لي يَشْفَعُ شَفاعةً وتَشَفعَ: طلَب منه الشفاعة، والشفيع: الشافع، والجمع: شفعاء، واسْتَشْفَعَ بفُلان على فُلان وتَشَفّع له إليه فشَفّعَه فيه... واسْتَشْفَعه: طلب منه الشفاعة؛ أي قال له: كن لي شافعًا...والشفاعة: الدعاء...والشفاعة: كلام الشفيع لِلْمَلِكِ في حاجة يسألها لغيره...والشفاعة: التجاوز عن الذنوب والجرائم(١).

من هنا يتبين لنا أن الشفاعة لغة تدور حول معاني كثيرة؛ مثل: الوسيلة، والطلب، والدعاء، والرجاء.

ثانياً: تعريف الشفاعة اصطلاحاً:

عرف القاضي عبد الجبار الشفاعة اصطلاحًا بأنها: "مسألة الغير أن ينفع غيره، أو أن يدفع عنه مضرة، ولا بد من شافع، ومشفوع له، ومشفوع فيه، ومشفوع إليه"(٢). وعرفها الجرجاني (ت ٨١٦ هـ - ١٤١٣م) بقوله: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه"(٣).

---

(١) لسان العرب - المجلد الثامن - صـ١٨٣، ١٨٤ - مادة (شفع).

(٢) شرح الأصول الخمسة - صـ٦٨٨.

(٣) التعريفات - للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني - صـ١٣٣ - مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٥م.

وقيل: "هي سؤال فعل الخير وترك الضر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضراعة"[١].

من هذه التعاريف يتضح أن الشفاعة في الاصطلاح هي عبارة عن التوسط بطلب الخير أو سؤال الخير من الغير للغير ودفع الضر عنه، أو جلب المصالح ودفع المضار، وهنا يتضح أن المعنى الاصطلاحي للشفاعة يُعد متوافقًا مع المعنى اللغوي لها.

المطلب الثاني: أقسام الشفاعة:

تنقسم الشفاعة قسمين: الشفاعة في الدنيا، والشفاعة في الآخرة.

الشفاعة في الدنيا:

ومعناها: التوسط لقضاء حوائج ومصالح الناس الدنيوية والمعيشية المشروعة والمباحة.

قال تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)[٢].

ذكر ابن عطية (ت ٥٤١ هـ - ١١٤٧م) في تفسير هذه الآية عن بعض أهل العلم قولهم: "هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم؛ فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كِفل"[٣].

ولقد رَغَّبَت السنة النبوية الشريفة في قضاء حوائج المسلمين؛ فعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم لا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ ومن كان في حاجة أخيه كان الله

---

(١) الكليات - لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - صـ٥٣٦ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

(٢) سورة النساء - آية ٨٥.

(٣) تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز - لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي - صـ ٤٦١ - ط دار ابن حزم.

في حاجته"[١].

وكان رسول الله –ﷺ– مثالاً يُحتذى به في ذلك؛ فعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه فقال: "اشفعوا فلتُؤجروا. وليقض الله على لسان نبيه ما أحب"[٢].

يقول الإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ – ١٢٧٧م) معلقًا على هذا الحديث الشريف: "فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما، أم إلى واحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة في كف ظلم، أو إسقاط تعزير[٣]، أو في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود[٤] فحرام، وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق ونحو ذلك فهي حرام"[٥]، ويقول في موضع آخر: "فيُستحب الشفاعة إلى أصحاب الحقوق، وقبول الشفاعة في الخير...وجواز الشفاعة إلى صاحب الحق، والإصلاح بين الخصوم، وحسن التوسط، وقبول الشفاعة في غير معصية"[٦].

---

(١) صحيح البخاري – لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري – تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر – كتاب الإكراه – باب: يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه – حديث رقم (٦٩٥١) – جـ٩ – ص١٤٦ – الناشر دار طوق النجاة – الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي – كتاب البر والصلة والآداب – باب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام – حديث رقم (٢٦٢٧) – جـ١٦ – صـ٢٧٢ – مؤسسة قرطبة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ–١٩٩١م.

(٣) التعزير: تأديب دون الحدّ، وأصله من العزر وهو المنع. التعريفات – الجرجاني – صـ٦٥.

(٤) الحدود: جمع حد، وهو في اللغة: المنع، وفي الشرع: عقوبة مقدرة وجبت حقًا لله تعالى. التعريفات –الجرجاني – صـ٨٨.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي – كتاب البر والصلة والآداب – باب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام – جـ١٦ – صـ٢٧٢.

(٦) المرجع السابق – كتاب المساقاة – باب: استحباب الوضع من الدين – جـ١٠ – صـ٣١٥.

من هنا يتضح أن الشفاعة في الدنيا إنما تكون فيما هو مباح وحلال وحق وليس ممنوعًا وحرامًا وباطلاً؛ ومن ثمَّ لا تصح الشفاعة في أمور يترتب عليها معصية لله، أو مفسدة، أو ظلم للناس، أو ضياع لحقوقهم.

إذ رُوي عن السيدة عائشة -رضي الله عنها-: أنَّ قُريشًا أَهَمَّتْهُمْ المرأةُ الْمَخْزُومِيَّةُ[١] الّتي سَرقت؛ فقالوا: من يُكلّم رسول الله ﷺ ومن يَجْتَرِئُ عليه إلا أسامةُ بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ فكلَّم رسولَ الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: "أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فخطب قال: يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشَّرِيفُ تركوه وإذا سرق الضعيفُ فيهم أقاموا عليه الحدَّ، وَايْمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقتْ لقطعَ محمدٌ يَدَهَا"[٢].

فعلى الرغم من محبة الرسول ﷺ لأسامة بن زيد -رضي الله عنهما-؛ لكنه ﷺ رفض شفاعته في الحدود؛ إذ لا محاباة لأحد - ولا سيما فيما يتعلق بحدود الله - لقربه أو لغناه أو لشرفه في قومه...إلخ، وأخبرهم ﷺ أن سبب ضلال من كان قبلنا في دينهم ودنياهم أنهم يقيمون الحدود على الفقراء والضعفاء، ويتركون الأغنياء والأقوياء! فلابد من إقامة العدل والقِسط بين الجميع.

وتحرم كذلك الشفاعة في ترك الحقوق والتفريط فيها؛ يقول الإمام النووي: "اعلم أنه تستحب الشفاعة إلى ولاة الأمر وغيرهم من أصحاب الحقوق والمستوفين لها، ما لم تكن شفاعة

---

(١) اسمها فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ من أشراف بني مخزوم. أسلمت وبايعت. وهي التي سرقت فقطع النبي ﷺ يدها. ينظر: الطبقات الكبرى - محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد - جـ٨ - صـ٢٠٦ - دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الحدود - باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان - حديث رقم (٦٧٨٨) - جـ٩ - صـ١١٢.

في حدٍ، أو شفاعة في أمر لا يجوز تركه، كالشفاعة إلى ناظرٍ على طفل أو مجنونٍ أو وقفٍ أو نحو ذلك في ترك بعض الحقوق التي في ولايته، فهذه كلها شفاعةٌ محرمةٌ تحرم على الشافع، ويحرم على المشفوع إليه قبولها، ويحرم على غيرهما السعي فيها إذا علمها"[١].

كما تحرم شفاعة المشركين ممن اتخذ الأصنام والأوثان[٢] والأنداد وغيرها شفعاء يرجون عندهم النفع من دون الله تعالى! قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾[٣]؛ فهو "ذم للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان...وهي لا تملك شيئًا من الأمر؛ بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالاً من الحيوان بكثير"[٤].

الشفاعة في الآخرة:

الشفاعة في الآخرة نوعان: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية.

النوع الأول: الشفاعة المثبتة: وهي التي تتحقق فيها الشروط الشرعية الرئيسة الواردة في القرآن الكريم عن الشفاعة؛ وهي:

---

(١) الأذكار النووية – للإمام أبي زكريا يحيي بن شرف النووي الدمشقي – بتحقيق عامر بن علي ياسين – صـ٥٨١،٥٨٢ – دار ابن خزيمة – الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

(٢) الصنم: يقال هو الوثن المتخذ من الحجارة أو الخشب...ويقال: الصنم: المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب، والوثن هو: المتخذ من حجر أو خشب، وقال ابن فارس: الصنم ما يتخذ من خشب أو نحاس أو فضة والجمع أصنام. ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – جـ١ – صـ٣٤٩.

(٣) سورة الزمر – آية ٤٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم – لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي – بتحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين – المجلد الثاني عشر – صـ١٣٤ – مؤسسة قرطبة – الجيزة – مصر – الطبعة الأولى – ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

الشرط الأول: أن يكون المشفوع له مُسلمًا، قال تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)(١). والمراد بالظالمين في الآية كما ذكر بعض أهل العلم: الكفار والمشركون(٢)، ومن ثمّ فلا شفاعة للكافرين والمشركين ولا لمن آل مآلهما؛ إذ الشفاعة مقصورة على أهل الإسلام فقط.

الشرط الثاني: رضا الله تعالى عن الشافع: قال عز من قائل: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)(٣).

الشرط الثالث: رضا الله ﷻ عن المشفوع له: قال ﷻ: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ)(٤).

الشرط الرابع: إذن الله سبحانه بالشفاعة: قال ﷻ: (مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ)(٥)، وقال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ)(٦)، وقال تعالى: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)(٧).

وتتعدد الشفاعات المثبتة والمقبولة في اليوم الآخر؛ فمنها ما يأتي:

---

(١) سورة غافر – آية ١٨.

(٢) يُنظر: تفسير ابن عطية – صـ١٦٣٢، وتفسير ابن كثير – المجلد الثاني عشر – صـ١٨١.

(٣) سورة طه – آية ١٠٩.

(٤) سورة الأنبياء – آية ٢٨.

(٥) سورة يونس – آية ٣.

(٦) سورة النجم – آية ٢٦.

(٧) سورة سبأ – آية ٢٣.

١- شفاعات سيدنا محمد ﷺ[١].

٢- شفاعة النبيين والملائكة والمؤمنين:

فقد رُوي عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال: "...فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون؛ فيقول الجبار: بقيت شفاعتي؛ فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امْتُحِشُوا[٢]؛ فَيُلْقَوْنَ في نهر بأفواه الجنة يُقال له ماء الحياة فَيَنْبُتُونَ في حافيته كما تنبت الحبة في حَمِيلِ السَّيْلِ[٣]..."[٤].

ورُوي عنه أيضاً أن الرسول ﷺ قال: "إن من أُمتي من يشفع للفِئام[٥]، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعُصْبَة[٦]، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة"[٧].

٣- شفاعة الشهداء:

رُوي عن المقدام بن معدي كرب الكندي -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن للشهيد

---

(١) لسيدنا محمد ﷺ شفاعات عديدة في اليوم الآخر سيأتي الحديث عنها في المبحث الرابع إن شاء الله.

(٢) امْتُحِشُوا: امتحش: أي احترق، ومحشته النار وامتحشته: أحرقته. يُنظر: لسان العرب - المجلد السادس - صـ٣٤٤- مادة (محش).

(٣) حَمِيلِ السَّيْلِ: ما يَحمِل من الغُثاء والطين. يُنظر: لسان العرب - المجلد الحادي عشر - صـ١٧٧- مادة (حمل).

(٤) صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب: قول الله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) - حديث رقم (٧٤٣٩) - جـ١٠ - صـ٧٤،٧٥.

(٥) الفِئام: الجماعة الكثيرة. ينظر: لسان العرب - المجلد الثاني عشر - صـ٤٤٨ - مادة (فأم).

(٦) العُصْبَة: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. ينظر: لسان العرب - المجلد الأول - صـ٦٠٥ - مادة (عصب).

(٧) سنن الترمذي - بتحقيق د. بشار عواد معروف - أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع - باب: رقم ١٢ - جـ٤ - ص٢٣٤ - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - ١٩٩٦م.

عند الله ﷻ ستَّ خصال: أن يَغفر له في أول دفعة من دمه، ويُرى مقعده من الجنة، ويُجار من فتنة القبر، ويَأمن يوم الفزع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويُزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحُور العين، ويُشفَّع في سبعين إنسانًا من أقاربه"(١).

٤- شفاعة المُصلين على الميت:

رُوي عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – عن النبي ﷺ قال: "ما من ميت يُصَلِي عليه أُمَّة من المسلمين يَبلُغُون مائة. كلهم يشفعون له. إلا شفعوا فيه"(٢).

٥- شفاعة الصيام والقرآن:

رُوي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان"(٣).

النوع الثاني: الشفاعة المنفية: ومنها ما يأتي:

١- شفاعة ما يتعلق بالظالمين والمشركين ومعبوداتهم الباطلة:

وهي الشفاعة التي نفاها الله ﷻ عن الظالمين والمشركين وأتباع المعبودات الباطلة، والأدلة على ذلك كثيرة؛ منها: قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ)(٤)، وقوله سبحانه: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل – بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين – حديث رقم (١٧١٨٢) – جـ٢٨ – صـ٤١٩ – ط مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٩-١٩٩٩م.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي – كتاب الجنائز – باب: من صلى عليه مائة شفعوا فيه – جـ٧ – صـ٢٤.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل – حديث رقم (٦٦٢٦) – جـ١١ – صـ١٩٩.

(٤) سورة البقرة – آية ٤٨.

لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)[١]، وقوله ﷻ: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ)[٢]، وقوله عز من قائل: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)[٣].

٢- شفاعة اللَّعَّانُين[٤]:

ولا تُقبل كذلك شفاعة اللَّعَّانُين؛ إذ رُوي عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يكون اللَّعَّانُون شُفعاء ولا شُهداء يوم القيامة"[٥].

(١) سورة غافر - آية ١٨.

(٢) سورة يونس - آية ١٨.

(٣) سورة المدثر- آية ٤٨.

(٤) اللعانون: هم من يكثرون اللعن، وهو جمع لَّعَّان، واللعن: الطرد والإبعاد من رحمة الله، واللَّعَّان: كثير اللَّعن. ينظر: لسان العرب - المجلد الثالث عشر - صـ٣٨٧ - مادة (لعن).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب - باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها - حديث رقم (٢٥٩٨) - جـ١٦ - صـ٢٢٥.

المبحث الثالث

رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر

وأدلتهم وشبهاتهم على ذلك:

تمهيد:

قبل الخوض في رأي المعتزلة في مسألة الشفاعة يجدر بي أن ألقي الضوء على معنى الكبيرة في اللغة والاصطلاح؛ فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: تعريف الكبيرة لغة:

جاء في لسان العرب ما يأتي: "الكِبر: الإثم الكبير، وما وعد عليه النار، والكِبْرَةُ: كالكِبْر، التأنيث على المبالغة، وفي التنزيل العزيز: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ)[١]. وفي الحديث ذُكرت الكبائر في غير موضع، واحدتها كبيرة، وهي: الفَعْلَةُ القبيحةُ من الذنوب المَنْهِيّ عنها شرعًا، العظيم أمرها؛ كالقتل، والزنا، والفرار من الزحف، وغير ذلك"[٢].

ثانياً: تعريف الكبيرة اصطلاحاً:

تُعرف الكبيرة اصطلاحًا بتعريفات كثيرة؛ منها ما يأتي:

ما رُوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنها: "كل ذنب خَتمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب"[٣]. وقيل هي: "كل معصية يوجد فيها حدّ في الدنيا وتَوّعد بنار في الآخرة، أو لعنة أو نحو هذا خاصّاً بها"[٤].

---

(١) سورة النجم - آية ٣٢.

(٢) لسان العرب - المجلد الخامس - صـ١٢٩ - مادة (كبر).

(٣) تفسير الطبري المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - بتحقيق د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي - جـ٦ - صـ٦٥٢ - دار هجر - القاهرة - الطبعة الأولى -١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

(٤) تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز - صـ١٧٨٣.

وعرفها الجرجاني بأنها: "ما كان حراماً محضّـاً، شُـرِعَ عليها عُقُوبَة مَحْضّـة بنصّ قاطع في الدنيا والآخرة"(١).

ومن الملاحظ في هذه التعريفات الاصـطلاحية للكبيرة أنها متقاربة، ويمكن القول إنها كل معصية يترتب عليها حدّ في الدنيا، أو عقوبة ووعيد في الآخرة؛ كشهادة الزور، وقذف المحصنات، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر...إلخ.

المطلب الأول: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر:

تعتقد المعتزلة بثبوت الشـفاعة للنبي ﷺ؛ ولكنها خاصـة بمرتكبي الصـغائر والتائبين من المؤمنين، ومن ثمَّ فلا شفاعة للعصاة والفساق من أهل الكبائر عندهم!

فلقد أنكرت المعتزلة شـفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، أو خروجهم من النار بشـفاعته ﷺ...وقالوا: إن الشفاعة للناسي وأهل الصغائر(٢).

يقول القاضـي عبدالجبار: "لا خلاف بين الأُمة في أن شـفاعة النبي ﷺ ثابتة للأُمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين"(٣).

ويتابعه الجُشَمِي (ت ٤٩٤ هـ - ١١٠١م) قائلاً: "شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة ثابتة وحق

---

(١) التعريفات - الجرجاني - صـ١٩٢.

(٢) كتاب المقالات ومعه عيون المسائل والجوابات - أبوالقاسم البلخي - تحقيق د. حسين خانصو وآخرين - صـ٤٠٢،٤٠٣ - دار الفتح - عمان - الأردن - الطبعة الأولى - ١٤٣٩-٢٠١٨م.

(٣) شرح الأصول الخمسة - صـ٦٨٧،٦٨٨، والتبصرة في العدل والتوحيد - المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني - بتحقيق عبدالله إسماعيل هاشم الشريف - صـ٥٢ - مطبوعات مكتبة مركز بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م.

للمؤمنين"[١]، ويذكر كذلك أنه "لا شفاعة لأهل الكبائر إلا أن يتوبوا"[٢].

وذلك لأن مسألة الشفاعة – في معتقدهم – متعلقة بمسألة الوعد والوعيد؛ حيث إن إثبات الشفاعة للعصاة والفساق يتنافى مع تلك المسألة؛ والتي هي أصل من أصولهم الخمسة القائم عليها مذهبهم؛ والتي يرون من خلالها أنه يجب على الله تعالى إثابة المطيع وعقاب العاصي؛ ولا سيما وأنهم يقولون بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار؛ فإذا دخل النار فلن يخرج منها، وأنكروا كل ما يتعارض مع رأيهم هذا!

قال أبو عليّ الجُبائي: "إن أهل النار إذا دخلوا لم يصح خروجهم منها؛ لأنهم من أهل العقاب، ولا يجوز مع ذلك أن يكونوا من أهل الثواب؛ لأن ذلك كالمتضاد، ولو تخلصوا بالشفاعة لم يخل حالهم إذا أدخلهم الله الجنة من أن يكونوا من أهل الثواب أو التفضل، والعقل قد دل على أن لا ثواب لهم، والسمع قد دل على أن المكلف في الجنة لا يجوز أن يكون بمنزلة أهل التفضل وأن يكونوا من خدم أهل الجنة؛ فهذا أيضًا يمنع مما قالوه في الشفاعة"[٣].

على أنه من الجدير بالذكر أن بعض كبار رجال المعتزلة خالف ذلك الرأي؛ كأبي هاشم الجُبائي؛ حيث يذكر القاضي عبدالجبار رأيه في هذه المسألة قائلاً: "لكنَّ أبا هاشم –رحمه الله– يقول: قد تصح الشفاعة مع كون الشفيع ساخطًا، وقد تصح بلا توبة"[٤]، ويقول في موضع آخر: "الذي

(١) الرسالة في نصيحة العامة – للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجُشَمِي – صـ١٢٢ – ١٤٣٨ هـ.

(٢) عيون المسائل في الأصول – للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجُشَمِي – تحقيق ودراسة د. رمضان يلدرم – صـ٢٥٦ – دار الإحسان للنشر والتوزيع.

(٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة – صـ١٧٣، ١٧٤.

(٤) المرجع السابق – صـ١٧٥.

يذهب إليه أبو هاشم هو أنه تحسن الشفاعة مع إصرار المذنب على الذنب كما في العفو"[١]؛ ويعقب شارح الأصول الخمسة على رأي أبي هاشم الجُبائي قائلاً: "ولعل الصحيح في هذا الباب ما اختاره قاضي القضاة"[٢]؛ أي إنه مال إلى رأي القاضي عبدالجبار والمعتزلة القائل بنفي الشفاعة عن أهل الكبائر.

ولابد من الإشارة إلى أن الشفاعة عند المعتزلة تكون قاصرة على رفع الدرجات والزيادة في التفضيل والثواب والمنافع فقط؛ حيث يقول القاضي عبدالجبار: "فأما قولنا في إثبات الشفاعة فهو معروف، ونزعم أن من أنكره فقد أخطأ الخطأ العظيم، لكنا نقول لأهل الثواب دون أهل العقاب، ولأولياء الله دون أعدائه، ويشفع ﷺ في أن يزيدهم تفضيلاً عظيمًا. وقد يجوز أن يشفع لهم في الثواب؛ لأنه لا يُحِب أن تصح الشفاعة إلا فيما يجوز من المشفوع إليه أن يُفَعل وألَّا يُفْعل؛ بل قد يجوز أن يَشْفَعَ إليه فيما لابد أن يفعل إذا كانت شفاعة الشافع تُصادف ذلك الفعل؛ فيلْحَقه في ذلك السُرورُ العظيم. وعلى هذا الوجه تَعَبَّدَنا الله – تعالى – بالدُعاء للأنبياء والمؤمنين بالرحمة والنعمة، لما حَصَل لنا فيه فائدة؛ فرسول الله ﷺ يُسَرُّ إذا أثابهم تعالى، ويُسَرُّ إذا تَفَضَّل عليهم بالزيادة"[٣].

والحاكم الجُشَمِي بعد إثباته شفاعة الرسول ﷺ للمؤمنين والتائبين يوم القيامة يذكر أن "لهم في ذلك زيادة ثواب، وللنبي ﷺ درجة عظيمة بقبول شفاعته"[٤].

ويذكر ركن الدين الملاحمي المعتزلي (ت ٥٣٦ هـ – ١١٤١م) موقف رجال المعتزلة من مسألة الشفاعة؛ حيث يقول: ذهب شيوخنا – أي من المعتزلة – إلى أن شفاعة النبي محمد ﷺ

(١) شرح الأصول الخمسة – صـ٦٨٩.

(٢)المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) نقلاً عن كتاب: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة – صـ١٧٥.

(٤) الرسالة في نصيحة العامة – صـ١٢٢.

تكون للمؤمنين ليتفضل الله تعالى عليهم بزيادة المنافع[١].

والذي دعاهم لهذا القول هو ادعاؤهم أن أهل الكبائر لا يستحقون الثواب؛ "لأن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب"[٢]،فهم يرون "أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة، وإنه لصادق في وعده ووعيده، لا مُبَدّلَ لكلماته"[٣]؛ فالله تعالى لا يخلف وعده ولا وعيده، ومن ثمَّ فإثابة من لا يستحق الثواب كأهل الكبائر يُعد قبيحًا في اعتقادهم! وبذلك تنتفي عنهم الشفاعة!

وهنا يتضح موقف المعتزلة جليًا من الشفاعة لأهل الكبائر في أنها تكمن في كونها متعارضة مع أصل الوعد والوعيد – الأصل الثالث لديهم –، وبطبيعة الحال فإن كل ما يتعارض مع أصل من أصولهم الخمسة ينكرونه؛ محاولين تبرير رأيهم والدفاع عنه والانتصار له بكل ما أوتوا من قوة! فلا مناص لديهم من وجوب إنفاذ الوعيد، ومن ثمَ فهم يرون أن مرتكب الكبيرة إذا مات بدون توبة فهو لا يستحق الشفاعة، ومُخلد في النار؛ إلّا أن عقابه يكون أخف أو أقل من عقاب الكافر أو المشرك!

وتبعهم في ذلك الزيديةُ[٤]؛ فإنهم لا يجوزون الشفاعة لأهل الكبائر الذين ماتوا قبل أن

---

(١) الفائق في أصول الدين – ركن الدين محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي – بتحقيق د. فيصل بدير عون – صـ٥٤٥– ط دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة – ١٤٣١ هـ–٢٠١٠م.

(٢) شرح الأصول الخمسة – صـ١٣٥،١٣٦.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر – المسعودي – جـ٣ – صـ١٨٥.

(٤) الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ﷺ، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماما واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن، أو من أولاد الحسين ﷺ. ينظر: الملل والنحل – الشهرستاني – جـ١ – صـ١٥٤،١٥٥.

يتوبوا؛ فيقولون: "شفاعة النبي ﷺ لا تكون لأهل الكبائر المصرين عليها حتى يأتيهم الموت، وإنما تكون لأهل الكبائر الذين تابوا وماتوا على التوبة"[١]؛ فعندهم أن "النبي ﷺ يشفع للمؤمنين التائبين، ولا يشفع لأهل الكبائر"[٢]؛ لأن شفاعة النبي ﷺ - من وجهة نظرهم - هي لأهل الجنة من أمته يُرقيهم الله بها من درجة كانوا فيها إلى درجة أعلى منها، ومن نعيم صاروا إليه إلى نعيم أسنى منه؛ فيزيدهم الله نعيمًا إلى نعيمهم وسروراً إلى سرورهم، وأما من أدخله الله النار فهو خالد فيها أبداً[٣].

كما تبع المعتزلةَ في العصور المتأخرة طائفةٌ ممن شككوا في الشفاعة؛ وأثاروا حولها الشبهات والترهات والأباطيل؛ لمحاولة إنكارها وعدم الاعتراف بها مطلقًا! ضاربين بالنصوص الصريحة الصحيحة الواردة فيها عرض الحائط وعدم الاكتراث بها! تُسمى هذه الطائفة "القرآنيون"؛ وهؤلاء لكونهم ينكرون السنة النبوية بالكلية؛ فلا يؤمنون بأية مسألة تثبت عن طريق السنة الصحيحة!

ومن أشهر من أنكر شفاعة النبي ﷺ في واقعنا المعاصر د. مصطفى محمود (ت ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م) وكانت له مقالات حول هذه المسألة؛ تم جمعها في كتاب أصدرته دار "أخبار اليوم"

---

(١) ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة - السيد الأمير الحسين بن بدرالدين - حققه د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني - صـ٥١١،٥١٢ - مكتبة بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الثانية - ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

(٢) التبصرة في العدل والتوحيد - المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني - صـ٥٢.

(٣) عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس - للسيد أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي- جـ٢ - صـ٣٨٠ - ط مكتبة أهل البيت - صعدة - اليمن - الطبعة الأولى - ١٤٤٢ هـ-٢٠٢١م، ومصباح العلوم في معرفة الحي القيوم - الشيخ أحمد بن الحسن الرصاص - بتحقيق د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني - صـ٦٠ - مكتبة بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الثانية - ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

تقريبًا قبل وفاته بثلاث سنوات؛ تحت اسم: (الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين)، وقد أثار هذا الكتاب استياء علماء الأزهر خاصة، وعلماء المسلمين عامة، مما جعل البعض يقف للتصدي له والرد عليه في مؤلفات تذب وتدفع عن إثبات مسألة الشفاعة ثبوتًا لا يمكن التشكيك معه؛ كما دافعت عن السنة النبوية الشريفة خير دفاع. فجزاهم الله خيراً.

وسبق الخوارجُ كلاً من المعتزلة والزيدية في مسألة إنكار الشفاعة لأهل الكبائر؛ ومعلوم أن الخوارج كانوا في أواخر زمن الصحابة -رضي الله عنهم- وأما المعتزلة فكانوا في زمن التابعين، يقول الإمام الأشعري عند حديثه عن مقالاتهم: "وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات[١] فإنها لا تقول ذلك[٢]، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا إلا النجدات أصحاب نجدة"[٣]. وذلك لأن النجدات لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم[٤].

ويقول الإمام ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤م) مبينًا إنكار المعتزلة والخوارج للشفاعة: "اختلف الناس في الشفاعة؛ فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج، وكل من تبع أن لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها"[٥].

---

(١) النجدات: أصحاب نجدة بن عامر الحنفي. ينظر: الملل والنحل - جـ١ - صـ١٢٢.

(٢) وذهبت الإباضية من الخوارج إلى: "أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفرَ، كفر النعمة، لا كفر الملة". ينظر: الملل والنحل - الشهرستاني - جـ١ - صـ١٣٥.

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - عنى بتصحيحه: هلموت ريتر - صـ٨٦ - الناشر: دار فرانز شتايز - مدينة فيسبادن - ألمانيا - الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م.

(٤) الفرق بين الفرق - البغدادي - صـ٤٩.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل - للإمام ابن حزم الأندلسي الظاهري - جـ٤ - صـ٥٣ - مكتبة السلام العالمية - طبعة محمد علي صبيح - القاهرة - ١٣٤٨ هـ.

ويتحدث الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ - ١٣٢٨م) عن رأيهما – أي المعتزلة والخوارج - في الشفاعة قائلاً: "وعند الخوارج والمعتزلة أنه لا يشفع لأهل الكبائر؛ لأن الكبائر عندهم لا تغفر، ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها"(١).

ويجلي الأمر وضوحًا وبيانًا ما ذكره أحد مشايخ الإباضية(٢) عن رأيه في مسألة الشفاعة؛ حيث يقول: "ومن ذلك شفاعة النبي ﷺ لا تكون لمن مات مصراً غير تائب، إنما الشفاعة لمن مات على صغيرة، أو مات وقد نسي ذنبًا أن يتوب منه، أو لزيادة درجة في الجنة، أو لتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة"(٣).

وبذلك يتضح جليًا اتفاق كل من المعتزلة والزيدية مع الخوارج في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر في اليوم الآخر؛ لكن السؤال الذي يطرح نفسه؛ هو؛ هل تأثر الفكر الاعتزالي بأفكار الخوارج في مسألة الشفاعة لأصحاب الكبائر في اليوم الآخر؟ ولا سيما وأن الخوارج كانت سابقة على المعتزلة، أم إن كلاً منهما انطلق من زاوية معينة دعته لإنكار الشفاعة؟ ولنخرج فرقة الزيدية؛ لكونها - كما يرى البعض - متأثرة بالمعتزلة في بعض المسائل العقدية والأصولية.

الحقيقة أنه من غير الممكن القطع أو الجزم بتأثر المعتزلة بالخوارج في الشفاعة تأثيراً مباشراً، لكن ما يؤكده الواقع هو إحياء المعتزلة لفكر الخوارج في هذه المسألة؛ كما أن كلاً منهما

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - علق عليه: السيد محمد رشيد رضا - جـ١ - صـ ١١ - الناشر لجنة التراث العربي.

(٢) الإباضية: أصحاب عبد الله بن إباض التميمي؛ الذي خرج في أيام مروان بن محمد؛ فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية، فقاتله بتبالة. ينظر: الملل والنحل - جـ١ - صـ١٣٤.

(٣) العقود الفضية في أصول الإباضية - الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي - مراجعة إبراهيم بن محمد العساكر - صـ ٢٩٣،٢٩٢ - وزارة التراث والثقافة - سلطنة عمان - الطبعة الثانية - ١٤٣٨ هـ-٢٠١٧م.

وإن اتفقا على نفيها عن مرتكب الكبيرة وعدم استحقاقه لها؛ إلا أن الخوارج انطلقت من فكرة إلصاق التكفير بكل صاحب معصية! ومن ثم حكمت على مرتكب الكبيرة بالكفر في الدنيا، أما المعتزلة فرأت أن مرتكب الكبيرة فاسق؛ وأنه في منزلة بين المنزلتين – الإيمان والكفر –! وكلاهما حكم عليه بالخلود في النار في اليوم الآخر!

المطلب الثاني: أدلة المعتزلة وشبهاتهم على رأيهم في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر والرد عليها:

استدل المعتزلة بأدلة نقلية وعقلية على رأيهم في أن الشفاعة لا تصح ولا تجوز لأهل الكبائر الذين ماتوا من غير توبة، وأولوها بتأويلات بعيدة لا تتناسب مع ما ذهبوا إليه؛ ولكن لتطويع هذه الأدلة لمذهبهم؛ ومن أبرز أدلتهم ما يلي:

أولاً: أدلتهم النقلية على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر:

من الأدلة النقلية التي استدل بها المعتزلة على نفي الشفاعة لأهل الكبائر ما يأتي:

١ – قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)[١].

وجه الدلالة: يقول القاضي عبدالجبار في تفسير هذه الآية: "الآية تدل على أن من استحق العقاب لا يشفع النبي ﷺ له، ولا ينصره؛ لأن الآية وردت في صفة اليوم ولا تخصيص فيها؛ فلا يمكن صرفها إلى الكفار دون أهل الثواب، وهي واردة فيمن يستحق العذاب في ذلك اليوم؛ لأن هذا الخطاب لا يليق إلا بهم؛ فليس لأحد أن يطعن على ما قلناه بأن يمنع الشفاعة للمؤمنين أيضاً"[٢].

ويذكر الجُشَمِي أن الآية: "تدل على أن صاحب الكبيرة لا يكون له شفيع؛ فيبطل مذهب

---

(١) سورة البقرة – آية ٤٨.

(٢) متشابه القرآن – للقاضي عبدالجبار بن أحمد – تحقيق د. عدنان محمد زرزور – القسم الأول – صـ ٩٠ – ط دار التراث – القاهرة.

مخالفينا في الشفاعة لأهل الكبائر"[١].

ويتحدث الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ - ١١٤٣م) عن نفي الشفاعة للعصاة عند تفسيره للآية سالفة الذكر قائلاً: "فإن قلت: هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تُقبل للعصاة؟ قلت: نعم؛ لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقًا أخلت به من فعل أو ترك؛ ثم نفى أن يُقبل منها شفاعة شفيع؛ فعلم أنها لا تقبل للعصاة"[٢].

ويُعقب صاحب كتاب: الفائق في أصول الدين على هذه الآية قائلاً: "فأخرج الآية مخرج الزجر عن المعاصي اتقاءً من اليوم الذي لا تنفع فيه شفاعة"[٣].

وللرد عليهم أقول: واضح هنا أنهم أولوا الآية تأويلات بعيدة وطوعوها لتأييد مذهبهم؛ لكنها لا تتناسب مع مقصدها ومرماها ومرادها؛ لأن المراد من عدم قبول الشفاعة في الآية: "إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله ﷻ"[٤]؛ وبالتالي فـ "تشبث المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة

(١) التهذيب في التفسير - للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجُشَمِي - تحقيق عبدالرحمن بن سليمان السالمي - جـ١ - صـ٣٧٢ - دار الكتاب المصري - القاهرة - ودار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٣٩ هـ-٢٠١٨م.

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - تحقيق خليل مأمون شيحا - صـ٧٥،٧٦ - دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.

(٣) الفائق في أصول الدين - صـ٥٤٦.

(٤) تفسير الطبري - جـ١ - صـ٦٣٧.

مردود؛ لأن المنفي شفاعة الكفار"[١]؛ إذ إن "الآية محمولة على أن النفس التي لا يُقبل الشفاعة في حقها هي النفس الكافرة لا على العُصاة من المؤمنين"[٢]؛ فالشفاعة المنفية في الآية هي الشفاعة الخاصة بالكفار؛ لأن الضمير في (مِنْهَا) يرجع إلى النفس الكافرة.

٢- قوله تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)[٣].

وجه الدلالة: يقول القاضي عبدالجبار عند تفسيره لهذه الآية: "بين أن الظالم لا يشفع له النبي ﷺ، وأن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين لتحصل لهم مزية في التفضل وزيادة الدرجات مع ما يحصل له ﷺ من التعظيم والإكرام"[٤]، ويقول في موضع آخر: "فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع ألبتة"[٥].

ويذكر الجُشَمِي أن الآية: "تدل على صحة قولنا - أي المعتزلة -: إنه لا شفيع لأهل الكبائر"[٦].

ويقول الزمخشري: "يتناول النفي الشفاعة والطاعة معًا...لأن الشفعاء هم أولياء الله، وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه الله ورضيه، وأن الله لا يحب الظالمين؛ فلا يحبونهم،

---

(١) تفسير النسفي المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي - حققه يوسف علي بديوي - جـ١ - صـ٨٧ - دار الكلم الطيب - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

(٢) الشافي في أصول الدين - للشيخ الإمام إسرائيل بن دمرك الحنفي - اللوح ٩٣- مخطوط.

(٣) سورة غافر - آية ١٨.

(٤) متشابه القرآن - القسم الأول - صـ٣٢١.

(٥) شرح الأصول الخمسة - صـ٦٨٩.

(٦) التهذيب في التفسير - جـ٨- صـ٦١١٩.

وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم...ولأن الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته وإنما هم أهل الثواب"[١].

ويعلق ابن الملاحمي المعتزلي على هذه الآية قائلاً: إنها "تعم كل ظالم سواء ظلم غيره أو ظلم نفسه بالمعاصي، ونفي أن يكون لهم شفيع يجاب فيهم"[٢].

وللرد عليهم أقول: إن المراد بالظالمين في هذه الآية: الكفار؛ يقول الإمام البيهقي (ت ٤٥٨ هـ - ١٠٦٦م): "فالظالمون هاهنا هم الكافرون، ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هي في ذكر الكافرين"[٣]، ويقول ابن عطية: "ثم أخبر تعالى أن الظالمين ظلم الكفر هم في تلك الحال ليس لهم حميم، أي: قريب يهتم لهم ويتعصب، ولا لهم شفيع يُطاع فيهم، وإن همّ بعضهم بالشفاعة لبعض فهي شفاعة لا تُقبل"[٤].

أو المراد بالظالمين في الآية: المشركون؛ لأن الظلم إذا أُطلق يراد به الشرك؛ يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: "إنما عنى به المشركون، إذ الشرك ظلم، كما قال تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[٥].[٦]. ويقول ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٣م) عن تفسير هذه الآية: "أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم

---

(١) تفسير الكشاف - صـ٩٥٣.

(٢) الفائق في أصول الدين - صـ٥٤٥.

(٣) شعب الإيمان - للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - جـ١ - صـ٢٨٠ - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

(٤) تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز - صـ١٦٣٢.

(٥) سورة لقمان - آية ١٣.

(٦) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري - من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك - عني بتحقيقه دانيال جيماريه - صـ١٦٩ - دار المشرق - بيروت - لبنان - ١٩٨٧م.

الأسباب من كل خير"[١].

فالآية الكريمة نفت الشفاعة عن الكفار والمشركين، وأنه ليس لهم شفيع يشفع لهم بدفع الضر عنهم أو إيصال الخير أو النفع لهم.، أما أهل الكبائر فليسوا بكفار ولا مشركين؛ بل هم من أهل التوحيد؛ طالما أنهم ماتوا وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

٣- قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ)[٢].

وجه الدلالة: استدل المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة؛ حيث يقول القاضي عبدالجبار: "وقوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) يدل على أن الشفاعة لا تكون إلا لمن كانت طرائقه مرضية، وأن الكافر والفاسق ليسا من أهلها"[٣].

ويقول الجُشَمِي: "يدل قوله: (وَلَا يَشْفَعُونَ) أن الشفاعة لا تكون لأهل الكبائر؛ لأنه يحبط عملهم"[٤].

بل ويذهب الزمخشري إلى أن الشفاعة إنما تكون لأهل الثواب وليست للعصاة من أهل الكبائر، وأن المراد بها في الآية هو زيادة الثواب ورفع الدرجات؛ حيث يقول: "ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم"[٥].

وللرد عليهم أقول:

أولاً: من العجيب هنا أن القاضي عبدالجبار وأتباعه يضعون الكافر والفاسق في منزلة واحدة! وهذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم - المجلد الثاني عشر - صـ١٨١.

(٢) سورة الأنبياء - آية ٢٨.

(٣) متشابه القرآن - القسم الأول - صـ٢٧٧.

(٤) التهذيب في التفسير - جـ٧- صـ٤٨١٢.

(٥) تفسير الكشاف - صـ٦٧٧.

باطل؛ لأن الكافر هو من ليس بمؤمن، والفاسق هو الخارج عن الطاعة بالمعاصي من الذنوب والآثام.

كما أن هذا الكلام لا أساس له من الصحة؛ إذ يقرر الإمام أبو الحسن الأشعري أنه "يحتمل أن يكون معناه: إلا لمن ارتضى أن يشفع له، وهو يرتضي أن يشفع لفُسّاق المِلّة؛ فيكون الرضا في هذا التأويل واقعًا على الشفاعة دون ذنوبهم، ويمكن أن يكون الرضا راجعًا إليهم من جهة إيمانهم وتوحيدهم لا من جهة فسقهم، ونظير ذلك أنك ترتضي النجّار للنجارة ولا ترتضيه للبناء إذا لم يكن حاذقًا فيه؛ فقد رضيته من وجه وإن لم ترضه لغيره؛ فكذلك ارتضى الله تعالى مذنبي أهل المِلّة لإيمانهم؛ فجاز أن يشفع فيهم"[1]. ويذكر الإمام أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ-٩٤٤م) عند تفسيره لهذه الآية بطلان ونقض قول المعتزلة في الشفاعة؛ حيث يقول: "الشفاعة إنما جُعلت في الأصل للتجاوز فيما دخل في العمل من التقصير، ثم لا يخلو الذي يُشفع له إما أن يكون صاحب الصغيرة فيجوز أن يُعذّب عليها، أو أن يكون صاحب كبيرة ففيه دلالة التجاوز والعفو عن صاحب الكبيرة، لأنا قد قلنا: إن الشفاعة إنما جُعلت لمن منه التقصير في العمل. ففيه دلالة نقض قول المعتزلة...: إن صاحب الصغيرة معفوٌ عنه الصغيرةُ حتى لا يجوز أن يعذب عليها، وصاحب الكبيرة لا يجوز العفو عنه والتجاوز؛ بل هو معذبٌ أبداً"[2]. ويبين الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ - ١٢١٠م) أن المعنى المراد من الآية هو أن الشفاعة إنما تكون للمؤمنين الموحدين قائلاً: "احتجت المعتزلة بقوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) على أن الشفاعة في الآخرة لا تكون لأهل الكبائر؛ لأنه لا يقال في أهل الكبائر إن الله يرتضيهم. والجواب: قال ابن عباس -رضي الله عنهما-

(١) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري - صـ١٦٨، ١٦٩.

(٢) تأويلات القرآن - للإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي - بتحقيق د. مراد سلون - جـ٩- ص٢٧٣- ط دار الميزان - استانبول - ٢٠٠٧م.

والضحاك (إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) أي لمن قال لا إله إلا الله"[١]؛ "أي: لمن هو مرضي عند الله بالتوحيد"[٢].

ذكر الإمام البيهقي في كتابه: البعث والنشور؛ أن: "هذا يوجب أن تكون الشفاعة لأهل الكبائر يختص بها رسول الله ﷺ دون الملائكة، إنما يشفعون في الصغائر أو في استزادة الدرجات. وقد يكون القصد منه بيان كون المشفوع له مرتض بإيمانه وإن كانت له كبائر الذنوب دون الشرك. فيكون المراد بالآية نفي الشفاعة للكفار وأن أحدا من الملائكة المقربين ولا من الأنبياء المرسلين لا يجترئ على أن يشفع لأحد من الكافرين، فإن الله تعالى لم يأذن به ولم يرتض اعتقاده"[٣].

ثانياً: إن استدلال الزمخشري بالآية على أن المراد من الشفاعة الواردة فيها هو ازدياد الثواب والتعظيم برفع الدرجات غير صحيح، ولا يقبله العقل ولا المنطق؛ ومن العجيب أنه قصر الشفاعة على زيادة ثواب المرتضين ورفع درجاتهم! والذي دفعه وغيره من رجال المعتزلة إلى القول بهذا الرأي هو اعتقادهم أن المرضي عنهم هم أصحاب الثواب؛ لأن الفساق والفجار وأصحاب الكبائر عندهم ليس مرضيًا عنهم! إذن لا مجال هنا لأن يحمل المعتزلة الشفاعة على زيادة الثواب أو رفع الدرجات.

---

(١) شرح الناظم على الجوهرة؛ وهو الشرح الصغير؛ المسمى: هداية المريد لجوهرة التوحيد – للإمام برهان الدين إبراهيم اللقاني – حققه وضبط حواشيه مروان حسين البجاوي– المجلد الثاني – صـ١١٣٧ـ ط دار البصائر – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٣٠ هـ–٢٠٠٩م.

(٢) التيسير في التفسير – للإمام أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي – بتحقيق ماهر أديب حبوش– جـ١٠ – صـ٣٨٥ـ ط دار اللباب – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٤٠ هـ–٢٠١٩م.

(٣) البعث والنشور – للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي – بتحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر – صـ٥٥– الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٦ هـ–١٩٨٦م.

ثالثاً: أقول للمعتزلة ومن تبعهم: من هو المرضيَ عنه من وجهة نظركم؟! فإن أجابوا بأنه من لا يفعل المعاصي والذنوب. قلنا لهم: هذا جواب غير مقنع؛ كما "أنّا لا نُسلّم أن من ارتضى لا يتناول الفاسق؛ فإنه مرضيَ عنه من جهة الإيمان والعمل الصالح، وإن كان مبغوضاً من جهة المعصية، بخلاف الكافر المتصف بمثل العدل أو الجود؛ فإنه ليس بمرضي عند الله تعالى أصلاً؛ لفوات أصل الاعتداد بالحسنات وأساس الكمالات وهو الإيمان"(١). ومن ثم فليس هناك ما يمنع من دخول صاحب الكبيرة تحت الارتضاء له بالشفاعة؛ لكونه من أهل التوحيد والإيمان والطاعة؛ بل على العكس تماماً فإن اتصافه بالتوحيد والإيمان يجعله أهلاً لاستحقاق الشفاعة.

٤- قوله تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ)(٢).

وجه الدلالة: استدل المعتزلة أيضاً على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر بهذه الآية؛ حيث يقول القاضي عبدالجبار: "يدل على أن من أخبر الله تعالى أنه بعدله لا يخرج من النار؛ فإذا صح أنه أخبر بذلك في الفُجّار والفُسّاق فيجب ذلك فيهم، ويدل أيضاً على أنه ﷺ لا يشفع لهم؛ لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذاً من النار، وقد نفى الله تعالى عنه ذلك"(٣).

ويقول الجُشَمِي: "يدل قوله: (أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) على أنه ﷺ لا يشفع لمن في النار؛ فيبطل قول المرجئة في الشفاعة...وأنه تعالى لا يخلف الوعد والوعيد"(٤).

وللرد عليهم أقول: يلاحظ هنا الربط الذي استخدمه المعتزلة بين نفي الشفاعة عن العصاة والفساق

---

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - للإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي - جـ٢٢- صـ١٦٠ـ ط دار الفكر - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ-١٩٨١م.

(٢) سورة الزمر - آية ١٩.

(٣) متشابه القرآن - القسم الأول - صـ٣١٨.

(٤) التهذيب في التفسير - جـ٨- صـ٦٠٥٢.

من ناحية؛ وبين والوعد والوعيد من ناحية أخرى؛ لأن المسألتين عندهم متلازمتان!

والآية لا علاقة لها بالفساق أو العصاة من المؤمنين الموحدين، حيث "كان النبي ﷺ يحرص على إيمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة؛ فنزلت هذه الآية، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يُريد أبا لهب وولده ومن تخلَّف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان"(١)، ويرد الإمام الرازي على استدلال القاضي عبدالجبار بهذه الآية على أن النبي ﷺ لا يشفع لأهل الكبائر يوم القيامة؛ قائلاً: "لا نُسلم أن أهل الكبائر قد حق عليهم العذاب، وكيف يحق العذاب عليهم مع أن الله تعالى قال: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)(٢)، ومع قوله: (إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)(٣)، والله أعلم"(٤).

٥- قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ)(٥).

وجه الدلالة: ما ذكره القاضي عبدالجبار قائلاً: "يدل على أن الفاسق لا يساوي المؤمن في الجنة والثواب، ولو كان الأمر كما يقول المرجئة، لكان قد ساواه في ذلك. وبين بما بعده ذلك مفصلاً؛

---

(١) تفسير القرطبي، المسمى بـ: الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - بتحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش - جـ١٥ - صـ٢٤٤ - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية - ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤م. وورد أن سبب النزول المذكور هو عن عطاء. يُنظر: زاد المسير في علم التفسير - للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي - صـ١٢٢٧ - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م.

(٢) سورة النساء - آية ٤٨، ١١٦.

(٣) سورة الزمر - آية ٥٣.

(٤) تفسير الرازي - جـ٢٦ - صـ٢٦٣.

(٥) سورة السجدة - آية ١٨.

فقال: (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا)[1] ولو كان الفاسق يخرج من النار، إما بانقطاع ما يستحقه من النار، أو بالشفاعة، لما صح ما ذكره تعالى من أنه كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، بل كان يجب أن يقال: إنهم يريدون الخروج فلا يعادون فيها! وهذا يكذب الظاهر!!"[2].

ويقول الجُشَمِي: "يدل قوله: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا) أن المؤمن لا يكون فاسقًا، والفاسق لا يكون مؤمنًا، ولا يستويان في الدنيا والآخرة، فيصح قولنا في المنزلة بين المنزلتين، ويبطل قول المرجئة. ويدل أن المؤمن له الجنة والفاسق له النار، فيصح قولنا في الوعيد"[3].

وللرد عليهم أقول:

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ ما يثبت مغفرة الله تعالى لذنوب ومعاصي المؤمنين الموحدين؛ فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)[4]. فهذه الآية صريحة وواضحة وقاطعة في أن ما دون الشرك بالله؛ من الذنوب والمعاصي؛ فالله تعالى يغفرها ويتجاوز عنها برحمته وفضله.

وفي الحديث عن أبي ذر-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة". قلت: وإن زنى وإن سرق: قال: "وإن زنى وإن سرق". قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق". قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق

---

(١) سورة السجدة – الآيتان ١٩، ٢٠.

(٢) متشابه القرآن – القسم الأول – صـ٣٠٥.

(٣) التهذيب في التفسير – جـ٨– صـ٥٦٨٥.

(٤) سورة النساء – آية ٤٨، ١١٦.

على رغم أنف أبي ذر"[١]. وعن جابر بن عبدالله -رضي الله عنه-، قال: أتى النبيَّ -ﷺ- رجلٌ فقال: يا رسول الله! ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[٢].

والحديثان أيضًا واضحان وصريحان في أن أهل التوحيد الذين لا يشركون بالله شيئًا سيدخلون الجنة بمشيئة الله تعالى.

جاء في فتح القدير؛ أنه: "لا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته، وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء"[٣].

ويلاحظ من خلال القراءة الأولية لتأويلات المعتزلة للآيات التي استندوا إليها في نفي الشفاعة عن أصحاب الكبائر أنها تأويلات بعيدة كل البعد عن المعنى المراد، وليس فيها ما ذهبوا إليه من نفي الشفاعة عن أهل الكبائر؛ لأن كل ما استدلوا به إنما هو خاص بغير المؤمنين والموحدين، وبذلك يتضح موقفهم الغريب من محاولة الزج بأية أدلة وتطويعها بما يروق لهم لتأييد مذهبهم؛ لكن استدلالهم بها باطل!

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب اللباس - باب: الثياب البيض - حديث رقم (٥٤٨٩) - جـ٥ - صـ١٩٣، وصحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار - حديث رقم (٩٤) - جـ١ - صـ١٢٤،١٢٥. وزاد مسلم: "قال، فخرج أبو ذر وهو يقول: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذر".

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار - حديث رقم (٩٣) - جـ١ - صـ١٢٢.

(٣) فتح القدير - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني - جـ١ - صـ٥٤٩ - الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.

ثم يقال لهم: هل من المنطق والمعقول والمقبول أن تحكموا على مرتكب الكبيرة بالكفر لكونه ارتكب معصية؟! وهل نسوي بين عصاة المؤمنين الموحدين الذين يشهدون لله تعالى بالوحدانية ولرسوله -ﷺ- بالرسالة؛ وبين الكفار والمشركين والوثنيين والملحدين؛ في الحكم على الطرفين بدخول النار والخلود فيها؟!

كما أن زعمهم بأن أهل الكبائر لا يستحقون الشفاعة مبني على فهمهم الخاطئ للأدلة؛ التي يتضح من خلال ظاهرها وسياقها أنها تدل على الخلود في النار لمرتكبي بعض الذنوب والمعاصي؛ وهو ولا شك فهم بعيد عن المعنى المراد؛ لأن المراد بالخلود هو المكث الطويل.

ثانياً: أدلتهم العقلية على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر:

من الأدلة العقلية التي استدل بها المعتزلة على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر ما يأتي:

١- يرى المعتزلة أن الشفاعة للفاسق صاحب الكبيرة تُعد إثابة له، وهو لا يستحق ذلك؛ لأنهم يقررون أن "الفاسق يُخلد في النار أبد الآبدين ودهر الداهرين...فهو يستحق العقاب على طريق الدوام...ولا يجوز أن يدخل الجنة مثاباً؛ لأنه غير مستحق، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح. فإن قيل: ومن أين أن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح؟ قلنا: لأن الثواب إنما يستحق على طريقة التعظيم والإجلال، وما هذا سبيله لا يحسن دون الاستحقاق؛ ولهذا فإنه لا يحسن من الواحد منا أن يعظم أجنبياً على الحد الذي يعظم والده"[(١)].

والناظر في هذا الدليل يرى أن القاضي عبدالجبار استخدم فيه قياس الغائب على الشاهد[(٢)]

---

(١) شرح الأصول الخمسة - صـ٦٦٦،٦٦٧.

(٢) قياس الغائب على الشاهد معناه: إذا وجب الحكم والوصف للشيء في الشاهد لعِلّة ما؛ فيجب القضاء على أن من وُصِف بتلك الصفة في الغائب فحكمه في أنه مستحق لها لتلك العلة حكمُ مستحقّها في الشاهد. يُنظر: تمهيد =

- ذلك القياس الذي يُعد أداة رئيسة ووسيلة مهمة لدى الفكر الاعتزالي في الأدلة العقلية - واعتمد عليه لإنكار الشفاعة لأهل الكبائر؛ إذ إنه ربط بين الشفاعة للعاصي صاحب الكبيرة أو إثابة من لا يستحق الثواب وجعله مساويًا للطائع المستحق للثواب، وبين جعل الأجنبي لا يستحق التعظيم كما يستحقه الوالد؛ لأنه يرى أن الولد إن فعل ذلك وعظم الأجنبي كما يُعظم والده فقد فعل قبيحًا!

٢- ما أورده القاضي عبدالجبار؛ من استنكار واستهجان الشفاعة لأهل الكبائر؛ حيث ذكر: "أن شفاعة الفساق الذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا تتنزل منزلة الشفاعة لمن قتل ولد الغير وترصد للآخر حتى يقتله؛ فكما أن ذلك يقبح فكذلك ههنا"(١).

وهذا الدليل استخدم فيه أيضًا القاضي عبدالجبار قياس الغائب على الشاهد؛ حيث ربط بين عدم قبول الشفاعة لمن قتل ولد الغير وترصد للآخر حتى يقتله، وبين عدم قبول الشفاعة للفساق أو أهل الكبائر!

فهو ينطلق من الشاهد ويلحق به الغائب؛ ليبين لنا أن ما يُعد قبيحًا في الشاهد فهو قبيح في الغائب كذلك!

٣- من أدلتهم العقلية كذلك ادعاؤهم "أن الرسول -ﷺ- إذا شفع لصاحب الكبيرة؛ فلا يخلو: إما أن يشفع، أو لا؛ فإن لم يشفع لم يجز؛ لأنه يقدح بإكرامه، وإن شفع فيه لم يجز أيضًا؛ لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح، وأن المُكَلّف لا يدخل الجنة تفضلاً"(٢).

الأوائل وتلخيص الدلائل - للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - صـ٣٢ - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

(١) شرح الأصول الخمسة - صـ٦٨٨.

(٢) المرجع السابق - صـ٦٨٩.

وهذا الدليل فيه مغالطات كثيرة؛ منها:

أ- قول القاضي عبدالجبار: "فإن لم يشفع لم يجز؛ لأنه يقدح بإكرامه" ويقصد بذلك الرسول ﷺ، وأقول: إن للنبي -ﷺ- عند ربه مكانة كبيرة وعالية لا تدانيها مكانة أي شخص آخر، ومن هذه المكانة العالية إكرامه -ﷺ- بالشفاعة[1]؛ التي وعده الله تعالى بها، والله سبحانه لا يخلف الميعاد؛ فكيف افترض القاضي عبدالجبار عدم شفاعة النبي ﷺ؟!

ب- ما ذكره القاضي عبدالجبار من: "أن المُكَلّف لا يدخل الجنة تفضلاً"! فيا لله العجب من هذا الزعم الباطل! إذ إنه يرى أن دخول المُكَلّف الجنةَ متوقف على عمله فقط؛ لأنه على حد كلامه لن يدخل الجنةَ أحدٌ بفضل الله تعالى ورحمته وكرمه وجوده! وهذا ادعاء غير صحيح؛ بدليل قوله ﷻ: (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ)[2]. أي: "الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله ومَنّه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك"[3]، وفي الحديث عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- قال: "سددوا وقاربوا واعلموا أنْ لنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ...الحديث"[4]. فالآية والحديث دالان دلالة واضحة وصريحة وقاطعة على أن دخول الجنة إنما هو بفضل الله تعالى ورحمته، ومن ثمَّ فليس هناك ما يمنع من شفاعة النبي -ﷺ- فيما أراد الله وشاء أن يشفع فيه، وبذلك يبطل زعم وادعاء القاضي عبدالجبار.

٤- ومما يستدل به المعتزلة كذلك على إنكارهم الشفاعة لأهل الكبائر؛ قولهم: "دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام؛ فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي -ﷺ- والحال ما تقدم"[5].

---

(١) سيأتي الحديث عنها في المبحث الثالث إن شاء الله.

(٢) سورة فاطر - آية ٣٥.

(٣) تفسير ابن كثير - جـ١١ - صـ٣٣٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه - باب: القصد والمداومة على العمل - حديث رقم (٦٤٦٤) - جـ٩ - صـ٤٩.

(٥) شرح الأصول الخمسة - صـ٦٨٩.

وهذا فهم خاطئ من المعتزلة؛ لأن: أدلتهم في نفي الشفاعة عامة في الأشخاص والأوقات؛ وإلا لم يدخل محل الخلاف فيها، أما أدلتنا فهي خاصة في الأشخاص والأوقات؛ لأنا لا نثبت الشفاعة إلا لبعض الأشخاص في بعض الأوقات...والخاص مقدم على العام[١]، وإذا كان الأمر كذلك فلا ريب في أن الأدلة التي تثبت الشفاعة مقدمة على أدلتهم العامة التي تدل على أن العقوبة دائمة أو مستمرة.

والحقيقة إن كل ما سبق من استدلالات للمعتزلة لمحاولة تأييد قولهم بنفي الشفاعة لأهل الكبائر، وعدم استحقاقهم لها؛ ما هي إلا شبهات باطلة واهية، وأوهام ومغالطات غير منطقية؛ فمهما حاولوا أن يستدلوا بالدلائل النقلية أو العقلية لإثبات رأيهم تجاه إنكار شفاعة الرسول – ﷺ ل–أصحاب الكبائر؛ إلا أنها محاولات بائسة ويائسة منهم؛ لكونها تتنافى وتتعارض مع الأدلة الصريحة الصحيحة التي لا لبس فيها والتي تثبت شفاعة النبي ﷺ للعصاة أو الفساق خاصة أهل الكبائر من الموحدين.

ومن العجيب أن أبا الهُذيل العلاف له رأي آخر؛ إذ يقول: "إن الشفاعة إنما تثبت لأصحاب الصغائر"[٢]! لكن القاضي عبدالجبار رفض ذلك الرأي قائلاً: "وذلك لا يصح؛ لأن الصغائر تقع مكفرة في جنب الطاعات"[٣]، وهكذا تخبط وخلط واضح من رجال المعتزلة تجاه مسألة الشفاعة؛ لإصرارهم الذي ليس له تبرير ولا وجه من الصحة على تخليد أهل الكبائر في النار؛ لأنهم يرون أن الله ﷻ توعده بذلك؛ ومن ثمّ فلا شفاعة عندهم لأهل الكبائر!

---

(١) الأربعين في أصول الدين – للإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي – بتحقيق د. أحمد حجازي السقا – جـ٢– صـ٢٥٠ـ مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٠٦ هـ–١٩٨٦م.

(٢) شرح الأصول الخمسة – صـ٦٩١.

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها.

المبحث الرابع

إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والدليل عليها

قبل الحديث عن إثبات الشـفاعة لأهل الكبائر في اليوم الآخر؛ أرى أنه من الأهمية بمكان الحديث عن شـفاعات الرسـول ﷺ؛ لكونها واحدة من شـفاعاته ﷺ الكثيرة يوم الفصـل؛ فأقول وبالله التوفيق:

إن للرسول ﷺ شفاعات عديدة يوم القيامة؛ وقد ذكرها صاحب العقيدة الطحاوية؛ منها ما يأتي:

١ – الشفاعة الأولى: وهي العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين(١).

وورد ذكر هذه الشـفاعة صـراحة في القرآن الكريم؛ فالله تعالى قال لنبيه سـيدنا محمد ﷺ: (عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)(٢)؛ ويرى أهل العلم أن المقام المحمود هنا: "هو الشفاعة في إسقاط العقاب على ما هو مذهب أهل السُنة"(٣)؛ والمراد بذلك: "شفاعة يوم القيامة...يُشفّعهُ اللهُ في أُمَّتِهِ"(٤)، إنه مقام الشـفاعة العظمى في اليوم الآخر الذي يحمده فيه الأولون والآخرون؛ وذلك حينما يشتد الموقف، ويحل بالناس البلاء، ويصعب عليهم الانتظار والوقوف؛ فيذهبون إلى بعض الأنبياء والمرسـلين ليسـتشـفعوا لهم عند ربهم؛ ليصـرفهم من تعب ومشـقة وعناء وهول ذلك الموقف الصعب الشديد، وشدة ذلك اليوم الطويل؛ لكن هؤلاء الأنبياء والمرسلين يعتذرون لهم حياءً وخجلاً من ربهم ﷻ؛ ويظهرون لهم حجتهم، ثم يذهبون إلى رسـول الله ﷺ؛ فيرفق بأمته، ويرأف لحالهم، ويطلب من ربه ﷻ الشفاعة لهم؛ فيشفع ﷺ؛ فيشفعه الله ﷻ فيمن يشاء، ويدل

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية – صـ١٧٤.

(٢) سورة الإسراء – آية ٧٩.

(٣) تفسير الرازي – جـ٢١ – صـ٣٢.

(٤) المرجع السابق – جـ١٥ – صـ٤٦.

على ذلك ما روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك؛ فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؛ فيأتون آدم ﷺ؛ فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؛ فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا نوحًا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض؛ فيأتون نوحا؛ فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن؛ فيأتون إبراهيم؛ فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطاياه التي أصابها، ولكن ائتوا موسى، عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليمًا، فيأتون موسى؛ فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا عيسى، عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه؛ فيأتون عيسى؛ فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فيأتونني فأنطلق فأستأذن على ربي؛ فيؤذن لي عليه؛ فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يستمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود"[1]. وفي هذا دلالة على محبة الله ﷻ لرسوله الكريم ﷺ؛ وعلو شأنه ومكانته عند ربه ﷻ؛ إذ اختصه بالشفاعة دون سائر الأنبياء والمرسلين،

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب: قول الله تعالى: (لما خلقتُ بيدي) - حديث رقم (٦٩٧٥) - جـ٦ - صـ٢٦٩٥، ٢٦٩٦، وصحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها - حديث رقم (١٩٣) - جـ٣ - صـ٦٥-٧١.

وكذلك فضل الله وكرمه وامتنانه على عباده في ذلك اليوم؛ حيث إن كثيراً منهم سينجو من النار بسبب تلك الشفاعة؛ فهي تفضل من الله سبحانه.

٢- النوع الثاني من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة(١). قال الإمام النووي(٢): "وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى، وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة ومستندها أخرج الطبراني عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد"(٣).

٣- النوع الثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "قال رسول الله ﷺ: "توضع للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه، أو قال: لا أقعد عليه، قائم بين يديَ ربي منتصبًا بأمتي؛ مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب، أمتي أمتي؛ فيقول الله تعالى: يا محمد، ما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب، اعدل حسابهم؛ فيدعى بهم فيحاسبون؛ فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي؛ فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكًا برجال قد بعث بهم إلى النار، حتى إن مالكًا خازن النار ليقول: يا محمد، ما تركت لغضب ربك من أمتك من نقمة"(٤).

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - صـ١٧٧.

(٢) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - جـ١١ - صـ٤٢٨ - ط المكتبة السلفية.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - بتحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي - جـ١١ - ص١٨٩ - مكتبة ابن تيمية – القاهرة - الطبعة الثانية.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير - جـ١٠ - صـ٣١٧.

٤- النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات.

روي أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم! اغفر لعبيد، أبي عامر...اللهم! اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس...اللهم! اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه. وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً"(١).

٥- النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن(٢) -رضي الله عنه-، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

٦- النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه(٣).

٧- النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، كما تقدم. وفي صحيح مسلم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب: من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين، رضي الله عنهما - حديث رقم (١٩٤٤) - جـ٤ - صـ٩٤٣.

(٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب" فقال رجل: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: "اللهم اجعله منهم" ثم قام آخر. فقال: يا رسول الله؛ ادع الله أن يجعلني منهم. قال: "سبقك بها عكاشة". صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب - حديث رقم (٢١٦) - جـ٣ - صـ١١٠.

(٣) عن العباس بن عبد المطلب؛ أنه قال: يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم. هو في ضحضاح من نار. ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار". صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه - حديث رقم (٢٠٩) - جـ٣ - صـ١٠٤.

عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "أنا أول شفيع في الجنة"[١].

٨- النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها[٢]. ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك -ﷺ- عن النبي ﷺ قال: "يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سَفْعٌ[٣]؛ فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الْجَهَنَّمِيِّينَ"[٤].

وهذا النوع الأخير من الشفاعة هو الذي عليه مدار بحثنا.

إن الشفاعة؛ والتي هي سؤال الخير من الغير للغير؛ حق وواقعة إن شاء الله في اليوم الآخر؛ ولا سيما لأهل الكبائر أصحاب الذنوب العظيمة؛ لأنهم أشد الناس حاجة لها في ذلك اليوم، وهي ثابتة بالنصوص القطعية الصريحة الصحيحة المتواترة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبإجماع الأُمة.

فمن أدلتهم من القرآن الكريم؛ ما يأتي:

١- قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ)[٥].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: في قول النبي ﷺ: "أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا" - حديث رقم (١٩٦) - جـ٣ - صـ٨٨. ونص الحديث كما رواه أنس بن مالك -ﷺ-: "أنا أول شفيع في الجنة. وأنا أكثر الأنبياء تبعًا".

(٢) ينظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية – صـ١٧٧، ١٧٨.

(٣) سَفْعٌ: هو نوع من السواد...وسَفَعَتْهُ النارُ والشمسُ والسَّمُومُ تَسْفَعُه سَفْعًا فَتَسَفَّعَ: لَفَحَتْه لَفْحًا يَسِيرًا فَغَيَّرَتْ لَوْنَ بشَرته وسَوَّدَتْه. ينظر: لسان العرب - المجلد الثامن - صـ١٥٦، ١٥٧ - مادة (سفع).

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب: صفة الجنة والنار - حديث رقم (٦١٩١) - جـ٥ - صـ٢٣٩٩، ٢٤٠٠.

(٥) سورة آل عمران - آية ١٩٣.

يقول الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية: "احتج أصحابنا بهذه الآية على أن شفاعة محمد ﷺ في حق أصحاب الكبائر مقبولة يوم القيامة؛ وذلك لأن هذه الآية دلت على أن هؤلاء المؤمنين طلبوا من الله غفران الذنوب مطلقًا من غير أن قيدوا ذلك بالتوبة، فأجاب الله قولهم وأعطاهم مطلوبهم فإذا قبل شفاعة المؤمنين في العفو عن الذنب، فلأن يقبل شفاعة محمد ﷺ فيه كان أولى"(١).

٢- قوله ﷻ: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)(٢).

جاء في تفسير القرطبي عند تفسير هذه الآية: "وللمؤمنين والمؤمنات" أي ولذنوبهم. وهذا أمر بالشفاعة"(٣).

٣- قوله عز من قائل: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)(٤).

يقول الإمام الرازي: "ويلزم من مجموع ذلك: أن الله تعالى يقبل شفاعة محمد عليه السلام في حق الفساق"(٥).

وذهب كثير من أهل التفسير إلى أن المراد بالآية؛ هو الشفاعة.

٤- قوله سبحانه: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا. وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا)(٦).

يقول الإمام الرازي: "الآية دالة على حصول الشفاعة لأهل الكبائر"(٧).

---

(١) تفسير الرازي - جـ٩ - صـ٤٦٨.

(٢) سورة محمد - آية ١٩.

(٣) تفسير القرطبي - جـ١٦ - صـ٢٤٢.

(٤) سورة الضحى - آية ٥.

(٥) الأربعين في أصول الدين - جـ٢ - ص٢٤٥.

(٦) سورة مريم - الآيتان ٨٥،٨٦.

(٧) الأربعين في أصول الدين - جـ٢ - ص٢٤٦.

وأما أدلتهم من السنة النبوية؛ فمنها ما يأتي:

١- ففي الحديث النبوي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي"(١).

يقول ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ - ٩٢٣م) معلقًا على هذا الحديث: " فإنما أراد شفاعتي بعد هذه الشفاعة، التي قد عمت جميع المسلمين - الشفاعة العظمى - هي شفاعة لمن قد أُدخل النار، من المؤمنين، بذنوب وخطايا، قد ارتكبوها، لم يغفرها الله لهم في الدنيا؛ فيخرجوا من النار بشفاعته"(٢).

ولكن وبكل أسف عارض المعتزلة هذا الحديث، وأنكروه، وحجتهم في ذلك ما ذكره

---

(١) رواه أبو داوود في سننه - للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني - بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين - كتاب السُنة - باب: في الشفاعة - جـ٧ - صـ١١٩ - حديث رقم (٤٧٣٩) - ط دار الرسالة العالمية - دمشق - سوريا، ورواه الترمذي في سننه - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع - باب: ما جاء في الشفاعة - جـ٤ - صـ٢٣١ - حديث رقم (٢٤٣٥،٢٤٣٦)، ورواه ابن ماجة في سننه - كتاب الزهد - باب ذكر الشفاعة - حديث رقم (٤٣١٠) - جـ٢ - صـ١٤٤١ - ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ولفظ الحديث عنده: "إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أُمتي"، ورواه الإمام أحمد في مسنده - حديث رقم (١٣٢٢٢) - جـ٢٠ - صـ٤٣٩، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا - حديث رقم (٢٣٠) - جـ١ - صـ١٤٠ - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ-١٩٩٠م. وقال الحاكم: "وله شاهد صحيح على شرط مسلم"، ومسند أبي داود الطيالسي - أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود - بتحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي - جـ٣ - صـ٢٥٠- الناشر: دار هجر - مصر - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ-١٩٩٩م. وفيه زيادة نصها: "قال: فقال لي جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة".

(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - بتحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان - جـ٢- ص١٥٥ - الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض - الطبعة الخامسة - ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

القاضي عبدالجبار؛ من "أن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي -ﷺ-، ومسألتنا طريقها العلم؛ فلا يصح الاحتجاج به"(١).

وللرد عليه ؛ أقول:

إن هذا الحديث صحيح، ورواه جمع كبير من أهل الحديث من أصحاب السنن والمسانيد بطرق صحيحة عن كثير من الصحابة -رضي الله عنهم-، وأجمعوا على صحته. ودليل ذلك ما ذكره ابن الوزير اليماني (ت ٨٤٠ هـ - ١٤٣٦م) قائلاً: "أحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع، وهي قاطعة في ألفاظها...لورودها عن عشرين صحابيًا أو تزيد في الصحاح والسنن والمسانيد، وأما شواهدها بغير لفظها فقاربت خمسمائة حديث"(٢).

بل ويرى الإمام السخاوي (ت ٩٠٢ هـ - ١٤٩٧م) أن: "الأحاديث التي وصفت بالتواتر؛ حديث الشفاعة والحوض، وأن عدد رواتهما من الصحابة زاد على أربعين"(٣).

٢- وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "خُيرت بين الشفاعة وبين أن يُدخل اللهُ ﷻ نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا. ولكنها للمذنبين، الخطائين المتلوثين"(٤).

---

(١) شرح الأصول الخمسة - صـ٦٩٠.

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد - ابن الوزير، محمد الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني - بتحقيق علي حسين علي - صـ٣٥٩ - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية - ١٩٨٧م.

(٣) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي- شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي - بتحقيق علي حسين علي - جـ٤ - صـ٢٢ - الناشر: مكتبة السنة - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

(٤) رواه ابن ماجة في سننه - كتاب الزهد - باب: ذكر الشفاعة - حديث رقم (٤٣١١) - جـ٢ - صـ١٤٤١.

٣- وعن أبي هريرة – ﷺ – قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: "لقد ظننت، يا أبا هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قِبَلِ نَفْسِهِ"(١).

٤- وعن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ: "شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ"(٢). ولا ريب في أن هذه النصوص خاصة بأهل الكبائر.

٥- وعن أبي هريرة – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال: "لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة"(٣). قال القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ – ١١٤٩م): "قال أهل العلم: معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم، وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة، ولنبينا ﷺ منها ما لا يُعد؛ لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الإجابة"(٤).

وذكر الحافظ بن حجر (ت ٨٥٢ هـ – ١٤٤٩م) نقلاً عن ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ –

---

(١) رواه البخاري في صحيحه – كتاب الرقاق – باب: صفة الجنة والنار – حديث رقم (٦٢٠١) – جـ٥ – صـ٢٤٠٢، والإمام أحمد في مسنده – حديث رقم (٨٨٥٨) – جـ١٤ – صـ٤٤٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده – حديث رقم (٨٠٧٠) – جـ١٣ – صـ٤٣٣،٤٣٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه – كتاب الدعوات – باب: لكل نبي دعوة مستجابة – حديث رقم (٥٩٤٥) – جـ٥ – صـ٢٣٢٣، وصحيح مسلم بشرح النووي – كتاب الإيمان – باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته – حديث رقم (١٩٨) – جـ٢ – صـ٩٨، ٩٩.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي – وبذيله الحاشية المسماة: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء – لأحمد بن محمد بن محمد الشمنى – جـ١ – صـ٢٢٣ – الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع – ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

١٢٠١م) في التعليق على هذا الحديث قوله: "هذا من حُسن تصرفه ﷺ؛ لأنه جعل الدعوة فيما ينبغي، ومن كثرة كرمه لأنه آثر أُمته على نفسه، ومن صحة نظره؛ لأنه جعلها للمذنبين من أُمته؛ لكونهم أحوج إليها من الطائعين"(١).

وهذا الإيثار واضح جلي؛ حيث إن الرسول ﷺ لم يقدم مصلحته ولا حاجته الخاصة على مصلحة وحاجة أُمته! بل ما حصل هو العكس! إذ إنه ﷺ ادخر هذه الدعوة المستجابة لهم في اليوم الآخر؛ رحمة بهم، وشفقة وعطفًا عليهم، وشفاعة لهم.

كما أجمع أهل العلم من المسلمين على إثبات شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر، ومن ذلك ما يأتي:

١- تحدث الإمام أبو حنيفة النعمان (ت ١٥٠ هـ - ٧٦٧م) عن إثبات الشفاعة؛ قائلاً: "وشفاعة النبي ﷺ للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت"(٢).

٢- وقال الإمام الأشعري: "قال أهل السنة والاستقامة بشفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أمته"(٣)، وقال في موضع آخر: "وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يخرج من النار قوما من أمته بعد ما صاروا حمما، فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - جـ١١ - صـ٩٧.

(٢) الفقه الأكبر - للإمام أبي حنيفة النعمان - ص٦١ - الناشر مكتبة الفرقان - الإمارات العربية - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - للإمام الأشعري - صـ٤٧٤.

الحبة في حَمِيلِ[١] السَّيْلِ"[٢].

٣- ويقول الإمام الطحاوي (ت ٣٢١ هـ - ٩٣٣م) في العقيدة الطحاوية: "والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما رُوي في الأخبار"[٣].

٤- ويقول الإمام البغدادي عند حديثه عن بيان الأصول التي اجتمعت عليها أهل السنة: "وقالوا بإثبات الشفاعة من النبي ﷺ، ومن صلحاء أمته للمذنبين من المسلمين، ولمن كان في قلبه ذرة من الإيمان، والمنكرون للشفاعة يُحرَمون الشفاعة"[٤].

٥- وذكر الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣ - ١٠٧٠ هـ): أن إثبات الشفاعة...ركن من أركان اعتقاد أهل السنة، وهم مجمعون أن تأويل قول الله ﷻ (عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)[٥]. المقام

---

(١) جاء في صحيح البخاري: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، أو قال: حمية السيل. وقال النبي ﷺ: ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية". أخرجه البخاري في صحيحه - باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب - حديث رقم (٦٥٦٠) - جـ٩ - صـ٦٦.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب - للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - تحقيق ودراسة عبد الله شاكر محمد الجنيدي - صـ١٦٤ - ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٣هـ.

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - صـ١٧٣.

(٤) الفرق بين الفرق - البغدادي - صـ٢٤٣.

(٥) سورة الإسراء - آية ٧٩.

المحمود هو: شفاعته ﷺ في المذنبين من أمته[١].

٦- ويقول الإمام الرازي في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر: "القول بشفاعة الرسول ﷺ في حق فساق الأمة حق خلافًا للمعتزلة"[٢].

٧- وأثبت الإمام أبو منصور الماتريدي الشفاعة لأهل الكبائر؛ حيث يقول: "الشفاعة من أعظم ما احتج بها، وقد جاء القرآن بها والآثار عن رسول الله -ﷺ-، والشفاعة في المعهود والمتعالم من الأمر تكون عند زلات يستوجب بها المقت والعقوبة فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الأخيار وأهل الرضا"[٣].

٨- ويقول الإمام أبو اليسر البزدوي (ت ٤٩٣ هـ - ١١٠٠م): "الشفاعة لأهل الكبائر حق عند أهل السنة والجماعة؛ فيشفع الرسل والأنبياء والعلماء لأهل الكبائر"[٤].

٩- وقال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعًا بصريح الآيات...وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف، ومن بعدهم من أهل السنة عليها[٥].

---

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - بتحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض - جـ٢- صـ٥٢٠ - الناشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

(٢) معالم أصول الدين - للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي - بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد - صـ١٣٣ - الناشر دار الكتاب العربي - لبنان.

(٣) التوحيد - للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي - بتحقيق د. فتح الله خليف - صـ٣٦٥ - الناشر دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

(٤) أصول الدين - للإمام أبي اليسر محمد البزدوي - بتحقيق د. هانز بيتر لينس - ضبطه وعلق عليه د. أحمد حجازي السقا - صـ١٦٦ - الناشر المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة - ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم - جـ٣ - صـ٣٥.

١٠ - وتحدث الإمام ابن تيمية عن مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة شفاعة الرسول ﷺ في أصحاب الكبائر؛ قائلاً: "ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر، ولا يخلد أحد في النار من أهل الإيمان؛ بل يخرج من النار من في قلبه حبة من إيمان، أو مثقال ذرة"(١).

هذا غيض من فيض من أقوال أهل العلم والحق والفضل من علماء الإسلام؛ حول إثبات شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر الذين ماتوا على التوحيد، والإجماع على ذلك.

أدلة أهل العلم العقلية على إثبات شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر:

هناك الكثير من الأدلة العقلية على إثبات شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر؛ منها:

١ - ما ذكره أبو سعيد النيسابوري (ت ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥م) من "أن قبول الشفاعة للعصاة ليس مما يحيله العقل؛ فإن من عصى مالكه وخالقه لا يستقبح في العقل أن تتشفع إليه بعض المختصين به، حتى يعفو عنه، وإذا كان جائزاً في العقل؛ فالسنة المستفيضة قد وردت به موجب الإيمان به؛ فإن حملوه - أي المعتزلة - على الشفاعة لرفع الدرجات لم يصح؛ لأن في الخبر عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"(٢)، وفي خبر آخر أنه يجيء إليهم فيخرجهم من النار(٣)

(١) مجموعة الرسائل والمسائل - ابن تيمية - جـ١ - صـ ١١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في الحديث عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "...ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية...فيخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة". مسند الإمام أحمد بن حنبل - حديث رقم (١٢١٥٣) - جـ١٩ - صـ١٩٦ - ١٩٨.

والمطيعين لا يكونوا في النار عندهم"[١].

٢- ما جاء في كتاب: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار؛ من "أن النبي ﷺ كان يصلي على المذنب وعلى غير المذنب من أمته، وكذلك أصحابه -رضي الله عنهم- وإلى يومنا هذا؛ فلو كان الميت المذنب لا يشفع فيه ولا ينفعه الدعاء لما كان للصلاة عليه معنى"[٢].

وفي نهاية المطاف أقول: إن الحقيقة التي يمكن استنتاجها والوصول إليها من خلال استقراء الآراء والنصوص والأدلة الواردة في هذه المسألة؛ أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر في الآخرة من الأمور الغيبية؛ الثابتة بالنصوص الصريحة الصحيحة التي لا تقبل الشك أو الظن؛ فلا مجال مطلقًا لإنكارها أو محاولة الشك فيها، وأن ما زعمته المعتزلة، ومن مال إلى رأيهم؛ من نفي للشفاعة؛ لا يستند إلى أدلة معتبرة أو حجج وبراهين قوية! بل إنها مجرد شبهات وأباطيل لا قيمة لها ولا فائدة منها! ومن ثم ينبغي الإيمان والتسليم والاعتراف بشفاعة سيدنا محمد ﷺ لأصحاب الكبائر في اليوم الآخر، إنها تكريم من الله تعالى لنبيه ورسوله الكريم سيدنا محمد ﷺ؛ كما أنها منة وتفضل من الله تعالى على عباده المؤمنين الموحدين ورحمة بهم.

(١) الغنية في أصول الدين - أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري - بتحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - صـ١٧٢، ١٧٣ - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ-١٩٨٧م.

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار - يحيى بن أبي الخير العمراني - بتحقيق سعود بن عبدالعزيز الخلف - جـ٣- صـ٦٩٦ - الناشر: أضواء السلف - الرياض - السعودية - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩م.

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن سيدنا محمداً عبده ورسـوله ﷺ، وبعد الانتهاء من هذا البحث؛ فقد توصـل الباحث إلى جملة من النتائج، أهمها ما يأتي:

١. إن المعتزلة فرقة إسلامية كلامية نشأت في البصرة، في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في أواخر العصر الأُموي، وازدهرت في العصر العباسي.

٢. إن نشأة المعتزلة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد.

٣. الشفاعة هي: السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه.

٤. تنقسم الشفاعة قسمين: الشفاعة في الدنيا، والشفاعة في الآخرة.

٥. تعتقد المعتزلة بثبوت الشـفاعة للنبي ﷺ؛ ولكنهم يرون أنها خاصـة بمرتكبي الصـغائر، والتائبين من المؤمنين.

٦. ترى المعتزلة أن الشفاعة قاصرة فقط على رفع الدرجات في الجنة وزيادة المثوبات.

٧. إن المعتزلة أنكروا شـفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر يوم القيامة؛ كما تبعهم في ذلك الزيدية، وبعض الطوائف؛ كالقرآنيين، وبعض الأشـخاص؛ كالدكتور مصـطفى محمود، وسـبقهم الخوارج في هذه المسألة.

٨. أولت المعتزلة الآيات الواردة في الشـفاعة بتأويلات غير صـحيحة، وأنكروا الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة فيها، وتمسكوا بشبهات باطلة واهية، وأوهام، ومغالطات ليست مقبولة لا منطقًا ولا عقلاً.

٩. للنبي ﷺ شفاعات عديدة يوم القيامة؛ منها شفاعته ﷺ لأهل الكبائر.

١٠. إن مرتكب الكبيرة – عند المعتزلة – ليس بمؤمن وليس بكافر فهو في منزلة بين المنزلتين، وإذا

مات من غير توبة فهو مخلد في النار؛ لكن عذابه أخف من عذاب الكافر والمشرك.

١١. استدل المعتزلة على إنكارهم شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر يوم القيامة بأدلة نقلية وعقلية أولوها تأويلات باطلة وبعيدة عن معناها المراد.

١٢. إن أبا هاشم الجبائي المعتزلي خالف المعتزلة في إنكارهم شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر في اليوم الآخر؛ حيث يرى أن الشفاعة تصح مع كون الشفيع ساخطًا، وقد تصح بلا توبة.

١٣. إن دخول الجنة إنما هو بفضل الله تعالى ورحمته ومشيئته؛ ولكن ليس هناك ما يمنع من شفاعة النبي ﷺ فيما أراد الله وشاء أن يشفع فيه.

١٤. إن الحقيقة التي يمكن استخلاصها في هذه المسألة أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من الأمور الغيبية الثابتة بالنصوص الصريحة الصحيحة من الكتاب، والسنة النبوية، والإجماع؛ والعقل، وهذا ما ذهب أهل السنة والجماعة ومن تبعهم من أهل الحق؛ ومن ثم ينبغي الإيمان والتسليم بها.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به وأن يرزقنا الحق والصواب إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم – كتاب الله تعالى –.

١. أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري – د. عبدالحكيم بلبع – ط مكتبة نهضة مصر بالفجالة – القاهرة.

٢. الأذكار النووية – للإمام أبي زكريا يحيي بن شرف النووي الدمشقي – بتحقيق عامر بن علي ياسين – دار ابن خزيمة – الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ– ٢٠٠١م.

٣. الأربعين في أصول الدين – للإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي – بتحقيق د. أحمد حجازي السقا ـ مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٠٦ هـ–١٩٨٦م.

٤. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر – بتحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٢١ هـ–٢٠٠٠م.

٥. أصول الدين – للإمام أبي اليسر محمد البزدوي – بتحقيق د. هانز بيتر لينس – ضبطه وعلق عليه د. أحمد حجازي السقا – الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة – ١٤٢٤ هـ– ٢٠٠٣م.

٦. أمالي المرتضى – غرر الفوائد ودرر القلائد – للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي – بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٧٣ هـ–١٩٥٤م.

٧. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار – يحيى بن أبي الخير العمراني – بتحقيق

سعود بن عبدالعزيز الخلف – الناشر :أضواء السلف – الرياض – السعودية – الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ– ١٩٩٩م.

٨. الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد – أبوالحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط – تحقيق د. نيبرج – ط مكتبة الدار العربية للكتاب – القاهرة ١٣٤٤ هـ–١٩٢٥م.

٩. الأنساب – للإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني – بتعليق الشيخ عبدالرحمن اليماني – الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

١٠. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد – ابن الوزير، محمد الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني – بتحقيق علي حسين علي – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الثانية – ١٩٨٧م.

١١. أهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية – د. ألبير نصري نادر – المطبعة الكاثوليكية – بيروت – لبنان.

١٢. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان – للشيخ أبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي – تحقيق د. بسام علي العموش – ط مكتبة المنار الزرقاء – الأردن – الطبعة الأولى – ١٤٠٨ هـ–١٩٨٨م.

١٣. البعث والنشور – للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي – بتحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر – الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٦ هـ–١٩٨٦م.

١٤. التاريخ الإسلامي – محمود شاكر – ط المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة السابعة – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

١٥. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي – د. حسن إبراهيم حسن – دار الجيل – بيروت – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الرابعة عشرة – ١٤١٦ هـ–١٩٩٦م.

١٦. تاريخ الدولة الفارسية في العراق - علي ظريف الاعظمي - ط مطبعة الفرات - بغداد - ١٣٤٦ هـ-١٩٢٧م.

١٧. تاريخ الفلسفة الإسلامية - هنري كوربان - ترجمة: نصير مروة، وحسن قبيسي - عويدات للنشر والطباع - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٩٨م.

١٨. التبصرة في العدل والتوحيد - المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني - بتحقيق عبدالله إسماعيل هاشم الشريف - مطبوعات مكتبة مركز بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م.

١٩. تأويلات القرآن - للإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي - بتحقيق د. مراد سلون ـ ط دار الميزان - استانبول - ٢٠٠٧م.

٢٠. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين - للإمام أبي المظفر الإسفراييني - تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري – الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة.

٢١. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع – لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي - عُني بتصحيحه س . ديد رينغ - ط المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٢٢. التعريفات - للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني - مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٥م.

٢٣. تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز - لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي - ط دار ابن حزم.

٢٤. تفسير الطبري المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - بتحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي - جـ٦ - صـ٦٥٢ - دار هجر - القاهرة - الطبعة الأولى -١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

٢٥. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - للإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي ـ ط دار الفكر - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ-١٩٨١م.

٢٦. تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - بتحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين - مؤسسة قرطبة - الجيزة - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

٢٧. تفسير القرطبي، المسمى بـ: الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - بتحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية - ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤م.

٢٨. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - تحقيق خليل مأمون شيحا - دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.

٢٩. تفسير النسفي المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي - حققه يوسف علي بديوي - دار الكلم الطيب - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

٣٠. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل - للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

٣١. التهذيب في التفسير - للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجُشَمِي - تحقيق عبدالرحمن بن سليمان السالمي - دار الكتاب المصري - القاهرة - ودار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٣٩ هـ-٢٠١٨م.

٣٢. التوحيد - للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي - بتحقيق د. فتح الله خليف - الناشر دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

٣٣. التيسير في التفسير – للإمام أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي – بتحقيق ماهر أديب حبوش ـــ ط دار اللباب – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٤٠ هـــ-٢٠١٩م.

٣٤. دائرة المعارف الإسلامية – أ . جى . بريل – تحرير م . ت . هوتسما وآخرين – مركز الشارقة للإبداع الفكري – الطبعة الأولى – ١٤١٩ ه -١٩٩٨م.

٣٥. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب – للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – تحقيق ودراسة عبد الله شاكر محمد الجنيدي – ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية –.١٤١٣ ه.

٣٦. الرسالة في نصيحة العامة – للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجُشَمِي – ١٤٣٨ ه.

٣٧. زاد المسير في علم التفسير – للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي – دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م.

٣٨. سنن ابن ماجة – للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني – بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي – ط دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.

٣٩. سنن أبي داوود – للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني – بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين – ط دار الرسالة العالمية – دمشق – سوريا.

٤٠. سنن الترمذي المسماة بـ: الجامع الكبير – للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي – بتحقيق د. بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ١٩٩٦م.

٤١. الشافي في أصول الدين – للشيخ الإمام إسرائيل بن دمرك الحنفي – مخطوط.

٤٢. شرح الأصول الخمسة – للقاضي عبدالجبار بن أحمد – بتعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم – بتحقيق د. عبدالكريم عثمان – الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م.

٤٣. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - للعلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - تحقيق أحمد محمد شاكر - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض -المملكة العربية السعودية.

٤٤. شرح الناظم على الجوهرة؛ وهو الشرح الصغير؛ المسمى: هداية المريد لجوهرة التوحيد - للإمام برهان الدين إبراهيم اللقاني – حققه وضبط حواشيه مروان حسين البجاوي ـــ ط دار البصائر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.

٤٥. شعب الإيمان - لإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

٤٦. الشفا بتعريف حقوق المصطفى - أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء - لأحمد بن محمد بن محمد الشمنى - الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع - ١٤٠٩ ه - ١٩٨٨م.

٤٧. صحيح البخاري - لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري - تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ ه.

٤٨. صحيح مسلم بشرح النووي - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - مؤسسة قرطبة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ-١٩٩١م.

٤٩. الطبقات الكبرى - محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد - دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

٥٠. طبقات المعتزلة - أحمد بن يحيي بن المرتضى - بتحقيق مؤسسة سوسنة ديفشلد - فلزر - الطبعة الثانية -١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

٥١. عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس - للسيد أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي - ط مكتبة أهل البيت - صعدة - اليمن - الطبعة الأولى - ١٤٤٢ هـ-٢٠٢١م.

٥٢. العقود الفضية في أصول الإباضية - الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي - مراجعة إبراهيم بن محمد العساكر - وزارة التراث والثقافة - سلطنة عمان - الطبعة الثانية - ١٤٣٨ هـ-٢٠١٧م.

٥٣. العقيدة والشريعة في الإسلام - تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي - إجناتس جولد تسيهر - عربه: د. محمد يوسف موسى وآخرين - ط مطابع دار الكتاب العربي بمصر - الناشر: دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد - الطبعة الثانية.

٥٤. عيون المسائل في الأصول - للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجُشَمِي - تحقيق ودراسة د. رمضان يلدرم - دار الإحسان للنشر والتوزيع.

٥٥. الغنية في أصول الدين - أبو سعيد عبدالرحمن النيسابوري - بتحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ-١٩٨٧م.

٥٦. الفائق في أصول الدين - ركن الدين محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي - بتحقيق د. فيصل بدير عون - ط دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة - ١٤٣١ هـ-٢٠١٠م.

٥٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي - ط المكتبة السلفية.

٥٨. فتح القدير - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني - الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.

٥٩. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي- شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي - بتحقيق علي حسين علي - الناشر: مكتبة السنة - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

٦٠. فجر الإسلام – أ. أحمد أمين – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

٦١. الفرق بين الفرق – للإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي – بتحقيق مجدي فتحي السيد – دار التوفيقية للتراث – القاهرة.

٦٢. فرق الشيعة – الحسن بن موسى النوبختي – الناشر: دار الأضواء – بيروت – ١٤٠٤ Ç – ١٩٨٤م.

٦٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل – للإمام ابن حزم الأندلسي الظاهري – مكتبة السلام العالمية – طبعة محمد علي صبيح – القاهرة – ١٣٤٨ هـ.

٦٤. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة – أبو القاسم البلخي وآخرين – تحقيق فؤاد سيد – المعهد الألماني للأبحاث الشرقية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٣٩-٢٠١٧م.

٦٥. الفقه الأكبر – للإمام أبي حنيفة النعمان – الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية – الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ-١٩٩٩م.

٦٦. الفلسفة الشرقية – د. محمد غلاب – صـ٢٠١ – مطبعة البيت الأخضر – القاهرة – ١٩٣٨م.

٦٧. الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب في سائر العلوم – لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم – مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن – ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.

٦٨. في الفلسفة الإسلامية – منهج وتطبيقه – د. إبراهيم مدكور – ط دار المعارف – القاهرة.

٦٩. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ – أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة – بتحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان – الناشر: مكتبة الرشد – السعودية – الرياض – الطبعة الخامسة – ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

٧٠. كتاب المقالات ومعه عيون المسائل والجوابات – أبو القاسم البلخي – تحقيق د. حسين خانصو وآخرين – دار الفتح – عمان – الأردن – الطبعة الأولى – ١٤٣٩-٢٠١٨م.

٧١. الكليات – لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

٧٢. لسان العرب – للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري – ط دار صادر – بيروت.

٧٣. متشابه القرآن – للقاضي عبدالجبار بن أحمد – تحقيق د. عدنان محمد زرزور – ط دار التراث – القاهرة.

٧٤. مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري – من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك – عني بتحقيقه دانيال جيماريه – دار المشرق – بيروت – لبنان – ١٩٨٧م.

٧٥. مجموعة الرسائل والمسائل – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – علق عليه: السيد محمد رشيد رضا – الناشر: لجنة التراث العربي.

٧٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر – لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي – اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٥م.

٧٧. المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري – دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١١ هـ-١٩٩٠م.

٧٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل – بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين – ط مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٩-١٩٩٩م.

٧٩. مسند أبي داود الطيالسي – أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود – بتحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي – الناشر: دار هجر – مصر – الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ-١٩٩٩م.

٨٠. مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم – الشيخ أحمد بن الحسن الرصاص – بتحقيق د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني – مكتبة بدر – صنعاء – اليمن – الطبعة الثانية – ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

٨١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – أحمد بن محمد بن علي الفيومي – الناشر: المكتبة العلمية – بيروت – لبنان.

٨٢. معالم أصول الدين – للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي – بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد – الناشر: دار الكتاب العربي – لبنان.

٨٣. المعجم الكبير – أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – بتحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – الطبعة الثانية.

٨٤. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم – لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

٨٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين – للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – عنى بتصحيحه: هلموت ريتر – الناشر: دار فرانز شتايز – مدينة فيسبادن – ألمانيا – الطبعة الثالثة – ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م.

٨٦. مقالة عن الجماعة والفرق – مونتجمري وات – ترجمة ناهد جعفر – مجموعة مقالات الإسلام المبكر ١٩٩٠م.

٨٧. الملل والنحل – للإمام أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني – بتحقيق أ. عبدالعزيز محمد الوكيل – ط دار الاتحاد العربي للطباعة – الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه – القاهرة – ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٨م.

٨٨. المنية والأمل – للقاضي عبدالجبار الهمذاني – جمعه أحمد بن يحيي المرتضى – بتحقيق د.

عصام الدين محمد علي – دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر – الإسكندرية – ١٩٨٥م.

٨٩. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار– المعروف بالخطط المقريزية – لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر العبيدي المقريزي – وضع حواشيه خليل المنصور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ–١٩٩٨م.

٩٠. ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة – السيد الأمير الحسين بن بدرالدين – حققه د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني – مكتبة بدر – صنعاء – اليمن – الطبعة الثانية – ١٤٢٢ هـ–٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخص ٦٥٥
المقدمـــة ٦٥٧
المبحث الأول: التعريف بالمعتزلة ٦٥٩
أولاً: تعريف المعتزلة لغة ٦٥٩
ثانيـًا: تعريف المعتزلة اصطلاحـًا ٦٥٩
ثالثـًا: سبب تسميتهم بالمعتزلة ٦٦٠
رابعـًا: تاريخ المعتزلة ٦٦٥
خامسـًا: أصول المعتزلة ٦٦٩
المبحث الثاني: تعريف الشفاعة، وأقسامها ٦٧٢
المطلب الأول: تعريف الشفاعة ٦٧٢
المطلب الثاني: أقسام الشفاعة ٦٧٣
المبحث الثالث: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر ٦٨١
تمهيد ٦٨١
المطلب الأول: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر ٦٨٢
المطلب الثاني: أدلة المعتزلة وشبهاتهم على رأيهم في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر والرد عليها ٦٨٩

أولاً: أدلتهم النقلية على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر ٦٨٩

ثانيًا: أدلتهم العقلية على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر ٧٠٠

المبحث الرابع: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والدليل عليها ٧٠٤

أدلة أهل العلم العقلية على إثبات شفاعة النبي لأهل الكبائر ٧١٦

الخاتمـــــة ٧١٨

فهرس المصادر والمراجع..... ٧٢٠

فهرس الموضوعات ٧٣١